هبة بسيوني

باتتومايم

التصحيح: محمود الغرباوي

الغلاف: أحمد شوقي

مقدمة الناشر

كانت دار ليلى (كيان كورب) منذ ما يزيد على 4 سنوات، قد أطلقت مشروعها «النشر للجميع.. ولمن يستحق» الذي نال استحسان الكثير من المواهب وقتها، والتي أصبح البعض منها كتابًا محترفين بعد ذلك، أو توجهوا لمشروعات ثقافية متنوعة، لمعوا من خلالها..

ومع ازدياد كم الأعمال التي يبدعها الشباب – خاصة بعد ثورة يناير العظيمة – وفي ظل الظروف الحالية التي تمر بها مصر، أصبحت سوق النشر والتوزيع في حالة ضعيفة، خاصة مع استمرار ازدياد أسعار الخامات، وإحجام كثير من دور النشر عن ممارسة نشاطها بتوسع، وضعف القدرة الشرائية للقارئ المصري، كذلك صارت عملية النشر محفوفة بالمخاطر، التي تخيف طرفيها – الناشر والقارئ – على حد سواء.. وكانت الدار نفسها من الدور التي تأثرت – وبشدة – اقتصاديا، ومع اضطرارها لإغلاق باب تقديم الأعمال، فكرنا في حل بديل، هو النشر لمن يستحق.. وتطورت الفكرة كثيرًا، إيمانًا من دار ليلى (كيان كورب) بأهمية الحركة الثقافية، وحرصًا منها على استمرارها في دورها، وإيمانًا منها – كما عهدتموها – بالشباب الموهوب..

لذا فقد قررت الدار إحياء مشروعها «النشر لمن يستحق» لفترة محدودة هذا العام، وعلى مراحل، وبشكل استثنائي، لعل ذلك يحرك المياه الراكدة.. آملين أن يحقق ذلك مجموعة نتائج، على رأسها:

– توفير الفرصة للراغبين في النشر أن ينشروا أعمالهم، وأيضا عبر دار نشر لها اسمها ولله الحمد، مع كبار الكتاب.

– تحقيق الأمان الاقتصادي للكاتب؛ حيث يضمن عودة ما دفعه بعد عام واحد، مع هامش ربح خفيف، إضافة للغرض الأسمى، وهو أن يرى أعماله منشورة.

– تحقيق المصداقية والوضوح بين الناشر والكاتب، عبر شكل وبنود العقد الذي يعتمد على حماية الملكية الفكرية، كما هي عادة عقود دار ليلى.

– توفير عناوين جديدة ذات قيمة للسوق المصرية، الأمر الذي يخدم العملية الثقافية.

ندعو المولى – عز وجل – أن يكلل مجهوداتنا بالنجاح، وأن ينال مشروعنا رضاكم، وكلنا ثقة بأن كثيرًا من الأسماء التي تنشر من خلال هذا المشروع ستصبح – مثل سابقيها – بإذن الله من اللامعين في مجالات ثقافية عدة.

الناشر

الإهداء

إهداء إلى لمامتي اللي هي متتوصفش بكلام.. اللي هي أحلى وألذ من السكر السنترافيش.. اللي لو عرف الناس إن في واحدة كده مستخبية عندنا كانوا اقتحموا البيت وخطفوها! الحروف اللي توصفها لسه لم تخترع علشان كده هسكت.. هقول بس ربنا يحفظك ليَّ.

إهداء لإخواتي أحمد وآلاء اللي اتحملوا ما تنوء به العصبة أولو القوة واللي حبوني أوي من غير سبب!

إهداء منفصل لـ«آلاء» اللي دايما شايفاني حلوة طول الوقت ودايما خايفة على مصلحتي كأني بنتها ودايما تكره أي حد محبنيش أو أساء ليَّ واللي دايما كانت بتطلب مساعدتي ووجودي بيحسسها بالأمان ومع ذلك كتير حسيت إنها هي اللي أختي الكبيرة مش أنا!

إهداء منفصل لـ«أحمد» اللي كتير «طقشنا في بعض» لكن كان بيحبني

أوي وبيغير عليَّ أوي واللي ضحكني جدا وهيست معاه تهييس السنين وطلعت معاه الطاقة كلها.. مختلفين أوي لكن بنحب بعض أوي.

إهداء لبابايا اللي ياما عمل حاجات لا مفروضة عليه ولا مطلوبة منه وخاف عليّ جدا وبرضه كان غيور للغاية – سِلْو عيلتنا باين – وما كانش مثالي زي مفهومي عن المثالية بس عرفني يعني إيه أب بحق وحقيق.

إهداء لولاد خالتي اللي اتربيت معاهم اللي عارفين عني مصايب واللي باهديلهم الإهداء ده علشان أشتري سكوتهم:

إهداء لعيلتي الإسكندرانية الجدعان اللي مترابطين آخر حاجة وحسسوني في كل لحظة في حياتي بقيمة إني أكون إسكندرانية وواحدة منهم.

إهداء لصحباتي البنات الكتير أوي أوي اللي اتوجعت معاهم ونصحوني وضحكنا في كل حتة وقعدنا في كل حتة فيكي يا إسكندرية.

إهداء لأعضاء «نادي إسكندرية للكتاب» اللي شجعوني أوي يعني (مصطفى – محمد – أحمد).

إهداء لـ«آلاء أنور» البنت الجدعة الجميلة البسكوتة من قريب والوحيدة اللي سلفتني كتب ومخفتش إني أضرب عليها أو أضيعها:

إهداء لنصي التاني والكوبي مني مروة غازي اللي بجد منحوتة كده

من جمال مطلق.

إهداء للـ Soul Mate وإن فعلا ممكن حد يشوفني على حقيقتي أوي ويحب الحقيقة دي جدا.

إهداء لإسكندرية اللي حبتها قد الدنيا واللي حبيت مصر علشانها.

إهداء للعالم الغبية والمزدوجة اللي عرفوني قيمة إني أكون أنا!

إهداء للمصورين الفنانين اللي أخلاقهم زي صورهم حلوة.

إهداء لأجمل وأنقى بنات خلقها ربنا واللي ربنا كان كريم أوي علشان يخلق الظروف اللي تعرفني بيهم:

(فاطمة.. مروة.. مريم.. فاطمة.. أيشا.. هالة.. شيماء.. أمنية.. ندى.. سارة.. نهى.. دينا.. أسماء.. إنجي.. سها.. شيري.. حنان.. عزة).

إهداء منفصل لـ«مروة البراوي» اللي طارت ولفت الدنيا وحاسة إن ربنا خلاها تسيب كل ده لحكمة علشان تيجي تقابلني أنا.. بحبك.

إهداء لـ«مريم» علاقتنا إثبات إن السالب والموجب ممكن يحبوا بعض.

إهداء لأستاذة ماجدة مدرسة الإنجليزي الوحيدة الكويسة في سنوات دراسة كلت نص عمري ع الفاضي واللي خلتني أحب اللغة لحد دلوقتي.

إهداء لمدام «سناء» الست القوية الذكية اللي فاهمة شغلها وزي القمر

ومش مقصرة في بيتها، الست اللي نفسي أكون زيها.

إهداء للأطفال اللي حبتهم من قلبي وخدوا منه طبقات.. اللي عرفت منهم إن ممكن حد يعشق حد متربطهوش بيه صلة ويسكن روحه واللي محدش متخيل إني بحبهم كده (لي لي – يوسف – محمد – لؤي – طاهر – علي – حلا – لوك – يحيى).

إهداء ليوسف إدريس ومحمد المنسي قنديل ومحمد المخزنجي ومصطفى محمود وأحمد خالد توفيق الدكاترة اللي خلوني أشك إن في رقاقة دماغية بتتزرع في دماغ دكاترة كلية طب بتخليهم يكتبوا حلو أوي كده!

إهداء لكل فيلم خلاني أعيط من قلبي وبعدها اتنهدت وحسيت إن في الدنيا لسه في حاجات حلوة.

إهداء لكل حد حاول يطير.

إهداء لكل حد مسكتش ومعداش وشغل دماغه ومبقاش قالب طوب.

إهداء للناس اللي بتحب بلدنا واللي بتيجي تزرونا رغم إننا بنسرقهم وبنضحك عليهم وهما عارفين على فكرة بس بمزاجهم ساكتين لأنهم.. بيحبونا!

إهداء لكل حد ما قالش على الآثار أصنام!

إهداء ليَّ اللي مش عارفة هي عايزة إيه ولا بتعمل كده ليه وكان نفسها كل يوم تكون زيها زي غيرها وترتاح بس برضه عاجبها نفسها كده.

إهداء لإذاعة القرآن الكريم اللي اتربينا عليها واللي فهمتنا دينا من غير «لَك» كتير.

إهداء للغراب والبومة المظلومين واللي في منتهى الجمال.

إهداء للمايوه البيكيني والجيتار والتنس والكونغ فو وكل الحاجات المحرمة اللي مقدرتش أعملها.

إهداء لكل حد «مسمر» دماغه وودانه ضد أي كلمة أحبطته وكمل.

إهداء لـ Fontana di Trevi وإيطاليا اللي هموت وأزورها ودرست لغتها وحبيت أهلها.

إهداء للي اخترع النت والكمبيوتر وكوبي وبيست.

إهداء لبوجي وطمطم وكرميت وكعبول وكونان والمابيت شو وكوكب بنبون وكابتن ماجد والإمبراطور كوزكو وعالم ديزني ووالت ديزني ذات نفسه.

إهداء للتشيز كيك اللي أدمنتها.

إهداء لهيو جاكمان اللي مش عارفة لحد دلوقتي هو إزاي كده!

إهداء لسيمون بيكر وميل جيبسون اللي بجد غيروا مفهومي عن الرجولة وشخصية فارس الأحلام واللي لما بشوفهم بعرف إن فيه في الدنيا ناس حلو، وإن مفيش حاجة اسمها صعب.

إهداء بقى لأستراليا اللي – أكيد مش صدفة – إن يطلع منها الثلاثة اللي فوق دول.

إهداء لهيو لاوري المبدع اللي بجد غير وجهة نظري لحاجات كتير جدا ولمسلسل «House».

إهداء للفضة المعدن الجميل الهادي ده.

إهداء للموسيقى القديمة والعمارات القديمة والأفلام القديمة.

وأخيرا إهداء لكل حد ضحكني من قلبي...

كراميل بالشيكولاتة وكرسي هزاز

استلقى على السرير لتحكي له أمه حكاية حلوة حيث يتزوج الأمير الفتاة التي يحبها وتنجو البنت من زوجة أبيها وهناك أقزام سبعة يساعدون وبساط سحري يحملك إلى حيث تريد. أغمض عينيه وأصغى السمع لصوتها المحبب ذي الرنة الرفيعة التي كانت تزعجه ثم أصبح يستعذبها.

جلست على كرسيها الهزاز ثم قالت: النهارده هاحكيلك حكاية مختلفة حكاية الولد اللي كان بيحب الكراميل بالشيكولاتة وبيشربه كل يوم.

– لأ أنا مش عايز الحدوتة دي عارفها وعارف آخرها.

– إنت متعرفش كل حاجة، الحدوتة بتتغير مفيش حدوتة ثابتة.

– بس الولد ده بالذات حدوته ثابتة أنا عارف كويس.

– طب استنى لما أحكيهالك.

سكت مضطرا ليستمع لحكايتها عن الولد الجميل الذي استطاع أن يحرك الدنيا بعقله. الفتى الذي رسم السماء بلون غزل البنات ونحت أشكالا لفتيات جميلات يركضن في مرح ويعلق على حوائطه صورا لغروب متجدد، الفتى الذي لا أحد مثله والذي تعد له والدته الكراميل وأخبرها مرة أنه أفضل ما ذاق في الحياة وأكثر ما أسعده. الفتى الذي غير الدنيا وجعلها بطعم التوت.

حكت وحكت قبل أن تنظر إلى عينيه المغلقتين وتربت على وجهه الباسم ثم – بحرص بالغ – تنقل كرسيها الهزاز وكرسيه المتحرك إلى أقصى الغرفة.

قيد

تلاعب البحر بخصلات شعرها.. عقصته دون فائدة، الهواء القوي أصر على نثره كل مرة.. تعجبت لماذا يصر البحر على العبث بشعرها على الرغم من أنه ليس حريريا ولا طويلا كالفتيات اللاتي ترى البحر يداعبهن!

تذكر أن شعرها كان طويلا جدا لدرجة كانت معها تنافس بها فتيات فصلها في أيهن الأطول شعرا.. تجلس بجوار الفتاة المنافسة وتقوم فتيات حياديات بإرجاع رأسيهما للوراء وقياس الطول وسط الهتاف من فتيات غير حياديات بالمرة صديقات لكل منهما، ولكن كل مرة كانت هي من تفوز.. أول مرة قصته؟ لا تتذكر، ولكنها تتذكر أنها قصته كثيرا.. لتساير الموضة، لتعلن أنها كبيرة وتستطيع اتخاذ قرارات بشأن شعرها.. لتغير شكلها بعد حالة ملل، لتنسى قصة حب، لكي تكف عن تذكر كلماته المتغزلة في جمال شعرها.. واظبت على قص أطرافه مع نهاية كل شهر قمري لكي يصبح أكثر

طولا كما أخبرتها جدتها التي توفيت قبل عام.. إلى الآن لا تزال تشم رائحتها كلما وضعت زيتها العطري.. الزيت الذي كانت تعده لها بعد أن تسكب هي على يديها ووجهها العطر.. كانت توزعه على كل جسدها وهي تدعو لها، ثم تمسك بزجاجة وتأمرها بأن تحضر لها الزيوت من أسفل الفراش.. تنهمك في خلطها بنسب متساوية وما بين زيت وزيت ترفع الزجاجة لأعلى وتنظر بدقة كأنها تقوم باختراع مذهل.. كانت تراقبها بانتباه وولع وشغف شديدين.. تراها ساحرة تقوم بإعداد وصفاتها الخاصة وتتخيل كل مرة تضع خلطتها تلك على رأسها – بعد أن ترج الزيوت جيدا وبعد أن تأمر أمها بوضعه على النار لدقائق – أن تلك الوصفة ستجعلها تطير بعيدا، وأن الزيت الذي يدفئ رأسها سيتسلل ويدفئ قلبها.. ستطير وستمتلك قلبا دافئا فماذا تريد أكثر؟!

نظرت للأفق وهي ترى عوالم كانت تريد أن تراها، وحياة ليست لها نهاية.. حياة أثيرية ستكون فيها كذلك الهواء حرة.. بلا حدود.. حياة تصنعها هي وبكل يوم جديد.. حياة تكون كما أخبرتها جدتها «فيها كتير» دائما ما انتظرت هذا الكثير والآن ستتوقف عن الانتظار.. لن تنتظر.. لن تنتظر أن يطول وأيضا ستكف عن قصه ستقبله كما هو.. أزاحت القيد من على شعرها وكفت عن خنقه بيدها ستدعه يذهب إلى حيث يريد.

ثلاثية الوجع

تشد قميصها لتحجب مؤخرتها المثيرة عن العيون.. تشد عودها وتتظاهر باللامبالاة لكنه يفتنها!

تتظاهر بأنها لا تراه لكنها تعرف ملامحه جيدا.

ذو شعر أبيض لم يلفت نظرها يوما ولكنه جذاب بطريقة غير اعتيادية

جسد ممشوق ومعدة أبت أن تترهل كما تحب تماما.

وسامة إلى حد السخف.

لا تلقي السلام، تمر فقط عليه بعينيها شبه الجامدة.

* * *

ينتظر اللحظة التي تنهض فيها بتلهف.

هي فرصة ليختلس نظرة لصدرها المعلن عن نفسه.

ومؤخرتها التي بلا أي مبرر تشد عليها القماش لتخفيها.

حتى المرة التي نسيت فيها إخفاءها نبهتها السيدة المجاورة.

لماذا لم تبتلع لسانها تلك البقرة واسعة الفم!

أنظر لعينيها ولكنها تحجبهما في خجل مدلل.

* * *

أحاول معاكستها بلا رد فعل.. نفور تام.

إذن سأغير طريقتي.

سأضحكها، أنا ماهر في هذا.

لم يتبق لي سوى إضحاكها.

سأعرف كيف.

* * *

يحاول أن يضحكني كل يوم بنكاته السخيفة.

أحيانا أضحك.. أحيانا أكثر أتصنع الضحك.

قرأت يوما أن الرجال يحبون المرأة التي تضحك على نكاتهم.

لا يهمني هو لكن يهمني أن أكون محبوبة.

أضحك محاولة محو إحساسه بالإهانة لعدم التفاتي له وطريقتي المقبضة معه.

فهو في آخر الأمر زميل.

ولا أنوي خسارة أحد.

ألمح احمرارا خفيفا في وجهه واضطراب.

لا يعرف كيف يتصرف معي.

أحب ذلك!

يكلم السيدة بجواري ويطلب تعقيبي.

أخبره بأنني لا أعقب.

يداري حرجه بقول:

أن ابتسامتي أعطته تعقيبا!

* * *

أشياء تتصاعد داخلي عندما أراها.

هي صغيرة جدا بالنسبة لي ولكن..

قل ذلك لتلك العينين وهذا الخفر الطفولي الذي أعشقه.

قلبي يرف في صدري وأنا أتخيل.

كيف ستصبح الحياة لو وضعت فمي على ذلك الفم.

لا عمل كثير، اليوم فرصة لأتملى في تفاصيلها على مهل.

أتلمس خصلات شعري البيضاء وأفكر.

* * *

أجمل جزء في يومي هو الثانيتان اللتان أمر فيهما أمامه.

لو أهو يوما كبار السن لا أعرف ماذا حدث لي!

هو رائع.. مشع.. جميل.

لو سألني سأجيب ولو كلمني سأتجاوب.

انظري لنفسك إنه متزوج.. أكبر.. غير مناسب.

تحكمي في نفسك يا فتاة.

من اليوم لن أنظر له.

لأؤدب نفسي قليلا.

* * *

متعلق بها ما زلت صغيرا أعد شابا في بعض الثقافات.

لا أعرف سر هذا الجفاء؟ ربما هناك آخر؟

ربما لأنني أمزح مع زميلتي.

ربما تشعر بأنها لو فعلت ستغدو رخيصة مثلها!

ربما فقط لا أعجبها.

لديها شيء مميز ليتني قابلتها قبل أن أتزوج.

مستعد أن أتزوجها لو فقط.

تتجاوب معي!

* * *

هو لطيف نعم، لكني لا أشعر بأي شيء تجاهه.

لا يهمني! لقد تعلقت بغيره.

كلما نظر لي أشيح بوجهي.

لا أريد أن ألتفت حتى لا يفسر أي نظرة بطريقة تريحه.

دعني منه ماذا سأفعل الآن في قلبي الذي ينخطف كلما رأى الآخر؟

ما أسعد تلك الزوجة التي حظيت به!

يمكنها تأمله على مدار اليوم وليس فقط اختطاف نظرات.

لن أنظر له.

عيناي لا تطاوعانني سأترك لهما نظرة واحدة.

نظرة واحدة كل يوم.

نظرة مع تكشيرة رسمية.

* * *

أمتصها على مهل.

تتضرج بالنشاط والحيوية.

كنت مثلها في شبابي.

الأوسم والأكثر رياضية.

ظننت أن القدر له مخططات أكبر لي.

أكبر من هذا المكتب العفن.

أتمنى أن أتكلم معها عن قرب.

لأرى صورتي داخل عينيها.

لا بد أن أخجل من أفكاري.

لا يصح لها أن تراودني هكذا.

كف عن التصرف كمراهق.

سأحبس الانفعالات داخل صدري.

سأقطب وجهي كلما رأيتها.

* * *

أتعذب سأفاتحها اليوم.

لا يحق لها أن تفعل بي هذا.

لو طلبت سأطلق زوجتي وأتزوجها.

لا بد أن أنهي تلك القصة.

أعدل وضع ثيابي وأضع عطري المفضل.

أرتدي قميصي الذي يخفي معدتي المتضخمة.

أنظر لزوجتي وأتنهد.

لماذا لم تكوني مثلها؟

* * *

آخر يوم لي في العمل.

سأرحم نفسي.

طلب النقل إلى مركز آخر بعيد على مكتب مديرتي.

ستوافق عليه كنت مجتهدة بالقدر الكافي.

سأبتعد عنه وأضع حدا لقصتنا الفاشلة.

أقصد قصتي الفاشلة.

الحل أن أتركه، صحيح أنني تركت جزءًا مني معه.

لكن يكفي هذا الجزء لألملم الباقي و..

أرحل.

* * *

لا أجدها في أي مكان.

يقولون إنها رحلت لا يمكن!

كنت سأكلمها.. سأعرف أين ذهبت وأكمل ما نويته.

لأكمل عملي اليوم وبعدها سأرى.

تأثير وجودها – كان صريحا – تضاءل.

أنا أحسن حالا من دون رؤيتها المنتظمة.

* * *

أفتقدها.

أتألم.

أيامي متشابهة.

مملة.

مظلمة.

كل يوم تتساقط أشياء.

حتى اليوم الذي لن أجدني فيه.

أعرف أنها فعلت ذلك للأفضل.

الأفضل لها.

ربما انتوت الزواج وإكمال حياتها.

من المؤكد أنه رجل مميز.

تستحق كل ما لدى الحياة من خير.

ألمس شعري الأشيب وأبكي.

داخل جدراني الأربعة محمية

أمسك بقوة بورقتي.. أقرأها وأبتسم.. أحملق في صورة السيارة «الفولفو» ذات اللون الأحمر التي وضعتها في مواجهة فراشي.. أحتضن المفتاح الإنجليزي البلاستيكي وأغط في النوم.

رائحة القهوة.. الخبز الساخن على المائدة لا أستطيع مقاومته.. أقتطع بيدي قطعة وألتهمها قبل أن تراني أمي وتؤنبني وتتوعدني بزيادة الوزن إذا لم أكف عن عادتي السيئة تلك.. تقول إنني لو استمررت فسأحتاج لرافعة لنقلي!

أقضي ساعة تحت الماء الساخن أغتسل استعدادًا لمقابلتها.. يومي حافل.. أتذكر الزيارة الأخيرة فأضحك.

أرتدي فستان والدتي المفضل.. أطوق شعري بشريط من الساتان.. بعض الزينة لا يضير.. أضع قرطي وحذائي ذا الكعب العالي.. زيارة لخالتي

والأهم لابنها الذي يكبرني بسنوات ويصر الجميع على أنه الشخص المناسب لي مع أنه لا يعجبني ولا ألتقط منه إشارة!

أتكلم بصوتي العالي ويتكلم بصوته الرتيب.. يجلس متطلِّعًا لي.. لا أتصل بعينيه أبدا.. أكلِّم من بجواره يحاول الولوج لعينيَّ.. أشفق عليه فأنظر له فيشيح بعينيه بعيدا! يتجاهلني قليلا ويدس وجهه في هاتفه.. أفقد اهتمامي به.. يضعه بجيبه ويبدأ في الكلام، تعودت منه على التجاهل وتعمد الإحراج في الحالتين لا يصنع هذا فارقًا.. علاقتنا مجمدة وستظل.

ألقي بكعبي العالي بعيدا.. الآن أذهب لها.. أعقد شعري برباط مطاطي.. أرتدي قميصي الأبيض وبنطالي الجينز الممزق من نهاياته.. لا أنسى خاتمي الفضي الذي يحمل ذكرى مميزة.. وشاحا أحادي اللون حول رقبتي.. ملمِّعَ شفاه شفَّاف وخطَّ كُحل أسودَ رفيعا، أعرف أنه سيسيل قريبا ليختلط بالكثير من الخطوط السوداء الأخرى ولن يُلاحظ!

أذهب لمكاننا السري حيث تنتظرني لتكتمل حتى نكتمل معا.. أجدها في انتظاري.. صامتة.. هادئة.. جميلة.. أربت عليها وأتشممها ثم أقبلها.. أضع حقيبتي وأخرج أشيائي وأبدأ في مداعبتها فتستجيب بصوت على كل حركة آتي بها.. كل صوت يختلف. عندما أحتضنها.. عندما ألمس وجهها.. عندما أنظر لها.. حركاتنا تتوافق وأنفاسنا تنتظم وتنقطع سويا..

عرقي ينهمر عليها ويجعلها تلمع.. أعتليها.. صوتها يعلو شيئا فشيئا.. كم هي رائعة وتفهمني! مسألة وقت قبل أن يراني العالم معها من دون خوف.. لن يحكم علينا أحد ولن يوقفنا أحد.. سنذهب إلى مكان بعيد وسنقابل وجوها مختلفة غير تلك الوجوه التي علاها الصدأ.

أنظر لملابسي وشعري المبعثرين وأضحك بشدة.. أقفز وأشعر أن طاقة الدنيا تملأ أوردتي.. لا بد أنني مجنونة.. متعة خالصة!

سأمر على منزل صديقتي لأزيل ما علق بي منها قبل أن أعود للمنزل، ربما سأقضي نصف الساعة تحت الماء الساخن حتى أبعد رائحتها، كم أود أن أبقيها علي ولكني فعلا تشربتها.. محظوظة بوجود صديقة تتفهمني وليست مصابة بلعنة كونها فتاة! قبلة سريعة وألوح مودعة قبل أن أغلق الباب أختلس نظرة سريعة: أراكِ قريبا.

«بيانولا»

عندما عاد من عمله ونظر في المرآة ليجد وجها ضاحكا شعر بالفزع.. لا بد أن أحدهم سرق وجهه في غفلة منه فمنذ أن تركها لم يبتسم!

* * *

لم أعد أحبك.. نقطة.

* * *

نظر للخاتم الذي يخنق إصبعه.. ارتباطهما أصبح مثله.. معدني، بلا روح ولا نهاية له.. مشاعرهما أصبحت ضيقة مثله تماما.. خلعه ليجرب الشعور من دونه.. ضيق جدا.. شده بقوة أكبر، ولكنه أصر على الالتصاق به كأنما يريد امتصاص آخر جزء من روحه.. استجمع قوته لينتزعه.. أخيرا نجح.. الآن أفضل.. نظر إلى العلامة التي تركها الخاتم وهو يبتسم.. ستزول.

* * *

لم تفهم أبدا عبارة «طوق الياسمين» كيف يمكن أن يوضع الياسمين في طوق؟

* * *

عندما رحلت صمتت روحه للأبد.

* * *

وضعت صورته في أعلى نقطة مقابلة لفراشها وأقرأتها السلام كل صباح.. ما زال هنا.. أي أحمق آخر يقل العكس هو كاذب.

* * *

كان يعشق اختلافها، لكن عندما أصبحت مثل الأخريات انطفأت.

* * *

وضعت الشريط الذي يحمل صوته في باب الكاسيت وأغلقته.. دقيقة مرت لتسمع صوتا غريبا.. ضغطت زر الفتح وأخرجته لتجده قد أخرج أحشاءه تماما كعلاقتهما، ابتسمت وهي تضع الشريط في مكانه مجددا وتغلقه لتسمع صوته وهو يتمزق.

* * *

كل يوم تشربته أكثر حتى اليوم الذي امتلأت فيه منه فابتعدت.

* * *

كلما تذكرته ابتاعت السوداني وقشرته ثم أمسكت ببضع حبات وقسمتها لنصفين كما كان يحب.. هكذا شعرت أنه لا يزال معها.

* * *

قامت من سباتها العميق لتكتب وتكتب رسالة له لتخبره بكل شيء وختمتها بعبارة «أوحشتني كثيرا» عادت إلى فراشها.. في الصباح وجدت رده.. لا تتذكر أنها أرسلتها له من الأساس.. قالت لنفسها وهي تمسح الرد دون أن تقرأه «لقد كنت فقط أحلم».

* * *

قامت من نومها لتكتب قصة حلمت بها فمنذ أن افترقا لم يعد يزورها الإلهام إلا حلما.

* * *

أخبرته بأن يمزق أو يحرق أو يمسح أي شيء منها لا كراهية فيه، ولكنها لم تكن تريد أن تترك له جزءًا منها يئن.

* * *

لم تكن يوما رشيقة كالفتيات اللاتي تراهن يرقصن.. لكنها أحبت

الرقص حتى النخاع.. ظلت ترقص حتى وإن كان جمهورها الوحيد هو مرآتها، وحتى لو ظلت تعجز عن ضرب الهواء بساقيها كما يفعلن.

* * *

أمضى نحو الساعة يوقع أوراقا تحمل موافقات وتصاريح للبناء.. كم يمر الوقت بطيئا وهو يود الانفراد بها.. نظر في ساعته اقترب الوقت وهي تنتظره كعادتها كل يوم.. كم يفتقدها! كم يود أن يغوص في عينيها!. هي الوحيدة التي تجعل حياته أكثر ملاءمة للعيش.. هي الوحيدة التي تفهمه.. هي الوحيدة التي جعلت منه سندبادا وجعلته يزور ألف أرض.. نعم هي وما عداها عدم.. لم يدخل أي شيء السرور على قلبه مثلها.. هادئة.. رزينة.. مليئة بالمفاجآت.. ناعمة كالحرير.. صموتة.. ولكنها تقول الكثير.. لا تطلب شيئا أبدا لنفسها بل فقط تعطي.. أخيرا قد انتهى.. هرع إلى الغرفة المجاورة لمكتبه.. كم يشتاق إليها! سيقبلها فور رؤيتها.. لن تمانع.. وجدها تنتظره في مكانها.. أزاح عنها غطاءها لينظر لها مباشرة ويحتضنها.. إنها «بيانوليته» الساحرة.

آثام

أدس يدي في جيبي نعم هكذا.. لا بد أن أحفظهما بعيدا، كل ما يتحرك حولي محمل بأشياء سيئة لا أعرفها.. ولا أريد التعرف عليها. لم ير أحد يدي منذ سنوات، حتى أنا أفتقدهما، ولكن هذا للأفضل. فور أن ألمح شخصا أعرفه أو لا أعرفه أقطب وجهي وأرسم النظرة الحادة لعلها تبعده. أيام مؤنس الطيب ذي الابتسامة الوادعة والعينين الصافيتين قد ولت. أخذت عهدا على نفسي بعدم الابتسام، أي سخافة في أن تبتسم! لا بد من وضع عقوبة لذوي الأفواه الضاحكة. ما بتلك الحياة تستحق أن تبتسم لأجله! أغبياء. سيظلون يبتسمون حتى يأتي من يخدعهم. أسير في طريقي.. يا له من يوم بارد. الكل يهرع لمكان ما، أقلب وجهي في الوجوه، وفور أن تدركني عين أخفض بصري. أصادف مدام إحسان.. لقد رأتني ماذا سأفعل الآن؟! ما كان علي الخروج اليوم.. أحاول تفادي عينيها، ولكنها تبتسم وتقترب، تمد

يدها أرجوكِ اسحبيها لا أستطيع رد تحيتك ولا أستطيع تجاهلك؛ ثرثرتك ستجعل هذا الموقف حديث شارعنا لسنوات مقبلة! أتنفس الصعداء وأنا أنظر لقفازها؛ يدي ستظل مُصانة. تُظهر أسنانها البشعة: كيف حالك اليوم يا مؤنس؟ مر وقت طويل منذ أن رأيتك؟ أعدت إلى العمل؟ هل ما زلت ترى «منال»؟

لم أسمع كلمة مما قالته لأني كنت أتابع شيئا أكثر أهمية يدها الأخرى وهي تمتد لتسحب القفاز. أصابعها تقترب، أرتعش وأنا أخرج يدي من مخبئها لتصافح يدها المحملة بآثام من لاكت سيرتهم للتو. تتم المصافحة، اللعنة.. لا بد الآن أن أعود للمنزل لأغسل يدي مجددا.

اختبار

تقف لتعد فنجان القهوة، تعده لنفسها كل يوم وفي نفس الميعاد بعد أن تنهي إعداد آخرين لوالديها. لا تخرج.. يقولان إن خروج البنت هو علامة على الانفلات. البنت المحترمة تمكث في بيتها حتى يأتي من يلتقطها تقصد – يتزوجها – أحيانا تشعر أن أنفاسها تنفد، وأنها تجاهد للحصول على أدنى حقوقها.. حق أن تتنفس مثل أي آدمي. الأم تعرف أكثر، ووالدتها ترى أنها ساذجة وهشة وغير جاهزة بعد لمواجهة الحياة، وأنها لو خاضت سيتم استغلالها.. فتاة قليلة الخبرة مثلها وسط العالم الواسع.

أصبحت تتعجب من اليوم الذي تصحو فيه ولا تشعر بثقل على صدرها وأنها حبيسة نفسها.. الملل يقتلها.. لماذا لا تجرب أن تضع يدها على تلك النار؟ ما أسوأ ما يمكن أن يحدث؟

تقترب بيدها.. الألم يجعلها تسحبها بسرعة.. تضعها مرة أخرى

وهذه المرة تتحمل.. تتألم بشدة، لا يهم، أخيرا تشعر بشيء.

اللحم يحترق والألم مبرح.. تصرخ ثم تضحك.. هرع والداها إليها.. تذهب للمستشفى.

– حرق من الدرجة التالتة.. تبقوا خدوا بالكم.. إزاي حصل كده؟

يهزان كتفيهما.. تخرج محاطة بكليهما.

– طول عمرك عاقلة إزاي يحصل كده إزاي محستيش.. إيه اللي جاب النار على إيدك؟!

– إيدك باظت.. عمرها ما هترجع زي الأول.. التجميل آثاره محدودة.. هنعمل إيه دلوقتي؟ إدعي إنها ترجع زي الأول.

لم ترد لأنها لأول مرة كانت تبتسم.

أسمال

عارية كانت إلا من قليل من ملابس مهترئة تغطي قليلا من جسدها كأن الأرض قد لفظتها للتو.. أخيرا قد وصلت إلى شاطئ بعد معاناة ظنت معها أنه لا نجاة من الموت، التقطت أنفاسها بصعوبة، قدماها على أرض؛ أرض بكر لم يمسسها سوء. مكان لا يعرفها فيه أحد.. ولن تسعى فيه لمعرفة أحد. هي هنا وهذا يكفيها؛ ما زالت تنبض! ربما هو فقط حلم من أحلامها التي تناوبت عليها كثيرا في الآونة الأخيرة، أن تبدأ من جديد وأن تمتلك القوة لفعل ذلك. تحسست جسدها لتطمئن أنها هي هي. وضعت يدها على صدرها لتتأكد أنه ما زال يخفق. نعم تسمعه ما زال يدق.. لم تسمع صوته منذ أمد بعيد. وحيدة تماما. هكذا ظنت حتى تهادى إلى سمعها صوت بعيد. يبدو كبكاء طفل!

ربما تسرعت في حكمها وهناك غيرها على هذا الشاطئ، إذا كان

هناك غيرها فلماذا تسمع صوت صراخه المتصل؟! لماذا لا يحمله أحدهم ويخفف من ألمه؟! مشت إلى مصدر الصوت. وجدت طفلة ترتجف من البرد.. لم تعرف ماذا تفعل كي تخفف من بكائها المر. لم تنجب من قبل لتعرف كيف تتصرف.. كل ما فعلته هو أنها احتضنتها بقوة عسى حرارة جسدها تدفئها.. لم يبد هذا كافيا، لأنها لم تكف عن البكاء. واصلت احتضانها لعل التلامس مع جسد بشري آخر يمنحها شعورا بالأمان. لم تكف. لم يفلح هذا ربما لأنها لم تعرف يوما كيف هو ذلك الشعور فكيف تتوقع أن تمنحه لآخر؟!

أوشكت على البكاء معها.. أرجوكِ يا صغيرتي كفي عن البكاء.. حاولت هدهدتها، طالما تمنت أن يفعل معها أحد بالمثل، أن يربت على كتفها ويهدهدها ويخبرها أن المقبل أفضل، وأن كل شيء سيكون على ما يرام. همست في أذن الطفلة: حبيبتي كل شيء سيكون بخير.

لم ينقطع بكاؤها، نحيبها أوجعها.. إنها غير قادرة على أن تشعرها بالأمان أو الدفء.. عدم قدرتها على التواصل معها ومعرفة سبب بكائها ذكرها بصمتها الطويل وعدم قدرتها على البوح لمخلوق غيرها.. بحثت عن شيء تدثرها به لم تجد سوى قطع من أسمالها البالية؛ غطتها بها ولم تهتم بشعور البرودة لأن شعور الانسلاخ والتجرد والتحرر الذي شعرت به فاق كل

شيء. بوضعها تلك القطع عليها شعرت بأنها تخلصت من كل ما يربطها بحياتها الأخرى.

ربما لم تكن حياتها بذلك السوء، فقد قادتها لتلك الطفلة وذلك الشعور وتلك البداية، ربما كل شيء يحدث لسبب؛ معها شعرت أنها ساحرة وهي كرتها البلورية.

ضمتها إلى صدرها بقوة ولدهشتها تلك المرة توقفت عن بكائها. عاد الصمت الحبيب الذي تريد أن تألفه.. مشت.. مشت طويلا وهي تحملها، لا تعرف إلى أين تريد الوصول، ولا لماذا تمشي، ولا إلى أين؟ لكنها لم تتوقف؛ فجأة ظهرت أمامها.. لا تعرف متى جاءت كأن الأرض قد انشقت عنها؛ عجوز يحمل وجهها كل تجاعيد الزمن. كانت ترتدي طبقات من ملابس كثيرة.. فوقها معطف طويل، وفور أن رأتها ابتسمت واقتربت منها، خلعت عنها معطفها ووضعته على كتفيها ثم شدته عليها بقوة، لأول مرة في حياتها تشعر بكل هذا القدر من الأمان.

سكنت روحها.. ويبدو أن الطفلة قد شاطرتها شعورها، لأنها وجدت يدا مخملية صغيرة تمتد لتلمس ذراعها وتستريح عليه.

ألف صوت يهمس

تستيقظ في منتصف الليل لتأخذ جرعة أخرى من المسكن.. تعودت على أن تأخذ جرعة كل شهرين أو ثلاثة لعارض مختلف.. مناعتها ضعيفة.. أخبرها الأطباء بذلك.. هي تعودت الشعور بالألم.. أصبح لصيقا بها، ألفته، أصبح جزءا منها، تمنت لو ارتاحت ولو ساعة منه.. الألم المستمر أضاع منها حتى الإحساس بالألم.

لم يعد يضايقها كالسابق، لم تعد تبكي.. البكاء هو أمل، كفت عن أن ترجو أي شيء منذ زمن بعيد.. كانت في البداية تتمنى الموت كل لحظة، وتبتهل إلى الله أن يضع حدا لحياتها فما جدوى حياة تقضيها في وجع متصل؟! كل شهر تصاب بمرض جديد تتألم معه ومنه، وما تكاد تشفى حتى يمسك بها آخر، وتبدأ في دوامة التأوه والدعاء على نفسها.. لكن دون استجابة.

أخبرتها والدتها بأن الله يسمع نداءنا.. فلماذا يتجاهل صرخاتها المكبوتة؟ أحيانا تتساءل لماذا خلقت من الأساس ألكي تتألم فقط!

كبرت وتعودت، كفت عن الدعاء وعن التضرع أو الابتهال.. أصبح الألم هو أنيس حياتها الوحيدة، لم يكن لها أصدقاء.. لا أحد يود أن يصادق إنسانة بلا حياة رفيقها ألمها، كما أن نمط حياتها حرمها من الكثير مثل أن تخرج باستمرار، أن تزاول نشاطا معين، من أن تسأل عن شخص مريض غيرها ولو على سبيل التغيير!

ليته يتوقف.. يضغط على أعصابها كل يوم ويسحقها.. أصوات تتردد في أذنها تخبرها بأنها ستظل هكذا.. لا جدوى من حياتها.. تبكي كل يوم وهي تتابع فيلما رومانسيا ينتهي بزواج البطلة، هذا شيء لا يمكنها حتى أن تحلم به، تزوجت ألمها منذ أمد بعيد.. قضت الأيام والساعات سابحة في خيالاتها تحلم باليوم الذي تغادر فيه مرقدها، أن تجري، تقفز، تحب، تكره، أن تتواصل مع كائن حي آخر. تود أن تتذوق أحاسيس الحياة التي لم تعرف منها سوى واحد أطبق فكيه عليها. هناك ما يسمى بالسعادة أين هي منها؟ ما هو ذلك الشعور الذي تلمحه في وجوه الناس الصابحة حولها، في تلك البسمات الطازجة المنطبعة على وجوههم.. تسمع أنه شعور جميل أخضر يقذف في قلبك البشر والحماس.. لماذا لا تجربه ولو مرة!

قررت أن تتوقف عن أخذ أدويتها ولو كلفها ذلك ألما لا يطاق.. لن تأخذ مسكنات تريحها من عذابها.. ستتجاهله فقط، ستفعل.. ستكف عن تخيل ما كانت ستقوله أو ما كانت ستفعله.. من الآن ستنفذ ما تفكر به.

– «اسكت.. اسكت»، قالتها بتأكيد وهي تصم أذنيها بيديها، قالتها وهي تتلوى هاربة من الدق المنتظم على رأسها.. ارتدت ملابسها لديها ملابس أوحشها رؤيتها.. وقفت أمام المرآة تضع بعض الزينة.. لاحظت للمرة الأولى أنها جميلة.. فتحت الباب.. الأصوات تخبرها بأنها لا تستطيع.

«ابتعدي عني» قالتها مرة أخرى وهي تصفع الباب بقوة خلفها.. ذهبت إلى البحر شهقت لتملأ رئتيها بالهواء المنعش خلعت حذاءا ومشت على الرمال.. نظرت يمنة ويسرة لا أحد يراها.. لتركض إذن.. ركضت بأقصى سرعتها.. شعرت في البداية بألم.. كانت ستتوقف لكنها تجاهلته.. أكملت.. دقات قلبها تتصاعد والدم يندفع إلى وجهها.. تشعر أنها حرة.. حرة.

غردتها وهي في طريقها إلى الخارج دافعة عنها الأصوات الخبيثة التي تنبئها بعجزها وأنها لن تستطيع.. ساقاها خفيفتان.. روحها طائرة.. ستعيش للمرة الأولى ستعيش. واجهتها الشمس بأشعتها الحارقة والضوضاء والناس.. أول مرة تشعر أنها جزء من شيء حي.. هذه هي الحياة التي

حرمت منها وغلقت في وجهها أبوابها.. ستعيش على الرغم من الألم الذي يسحق رأسها.. ستسعد على الرغم من الوجع الذي يسري في جسدها.. خطت عدة خطوات قبل أن تقف عند أقرب «أجزخانة» وتطلب مسكنا قويا أخذته وسحبت قدميها عائدة إلى قبرها والأصوات تعلو وتعلو وتعلو..

أهازيج

استغرق نسيانك وإخراجك من جهازي المناعي الكثير أرجوك ابتعد..

* * *

أحرقت أعصابي كل يوم تفكيرا بك هل تحبني أم لا؟ إذا كنت تحبني فلم لا تنطقها؟ وإذا لا فلم تصر على تصرفات المحبين؟

* * *

كل يوم أجد نفسي أفكر بك وجهك يتراءى لي في كل ركن هل تراني جننت أم أنك من بعثت روحك لتؤرقني؟

* * *

عندما رأيتك لم أصدق أن هذا هو أنت، صعب أن يكون الكون كريما معي إلى تلك الدرجة.. أجبرت نفسي على محو كل شيء يخصك حتى لا

أضعف.. لماذا انتظرت صديقتي نحو الساعة وأنا لم أعتد الانتظار؟ لماذا قرأت رواية تخصك في انتظارها؟ أتكون روايتك قد استدعتك؟ أم أن عقلي هو من فعل؟ نعم تمنيت أن أكلمك وأرتب للقائنا ولكن كبريائي كان أعظم.. لماذا هذا اليوم بالذات وتلك الساعة؟ ولماذا أحمل دوما داخلي جزءًا منك؟ لماذا لففنا ألف مكان وقررنا في لحظة جنونية أن نختار مكانا غير تقليدي وإذا بي أجدك جالسا هادئا كعادتك ترى بمن تراك تفكر؟ أكنت تفكر بي أم بصديقتك الجديدة؟ رأيتك تمارس عادتك المحببة في العبث بشفتيك.. توقف قلبي للحظة.. كنت أريد أن أهرب، ولكنك لا تستحق مني ذلك، عدت لأسلم عليك، الاندهاش على وجهك أربكني، لا أتذكر ما قلت، ولكني لم أقل الكثير.. أين ذهب لساني وأنا من كنت لا تستطيع إسكاتها؟ مددت يدك مصافحا ولكني لم أفعل المثل، أخشى لو مددت يدي إليك أن أعجز عن استردادها.. كانت سترفض العودة لي وستبقى معك للأبد.

* * *

أرواحنا تصر على التلاقي.. أبعدها فتهرع إليك.. أقبض عليها فتنسل مني وتلجأ لك.. أخنقها فتتركني لتسكنك.

* * *

عندما تركتك تكاثر حولك الذباب.. مسكينات لن تذوق ذبابة منهن

أيا من رحيقك، لأنهن ذبابات وأنا نحلة..

* * *

ليتك كنت قطفتني وأنا ما زلت غضة.. كنت أراك الأوسم والأذكى والأفضل.. بعد أن كبرت ورأيت ألف وجه لم تعد «الرجل الخارق» أصبحت مجرد رجل.

* * *

بعد فراقنا تجمع حولك الكثيرات، هل كنت أنا حائط الصد.. تراك كنت تراهن لكن تحجبهن عني؟ يا للفتيات وأنوفهن البوليسية!

* * *

لماذا لم تخبرني أن كل مضايقاتك واستفزازك لي كانت كلها تنم عن ولع؟ لماذا تركتني أتجنبك وأبتعد عنك وأوجه لك خدي الأيسر! الآن فهمت.. ولكن الوقت قد فات!

* * *

أرجوك اقبض على روحك جيدا وأبعدها عني.. هكذا.. نعم أمسك بتلابيبها جيدا.. أرجوك بقوة أكثر.. نعم أحسنت.. أنا أمسك خاصتي بقوة وأوشكت على الانهيار، لذلك أرجوك سيطر على ما يخصك..

* * *

أحبها لسنوات.. راقبها وهي تكبر شبرا بشبر كزهرة متفتحة.. ألم بكل تفصيل صغير.. يعرف عدد حبات النمش في وجهها.. كيف تغلق إحدى عينيها وهي تضحك.. كم تعشق الحلوى.. أي موسيقى تسمع.. كم تحب الزهور.. لم يفصح يوما عما كان يريده.. أعتقد أن عينيه تكفي وحبه يكفي ومراقبته تكفي.. أعتقد أن مشاعره الجارفة ستذيب حائطه الصامت لتصلها.. لم يكن يعلم كم هو سانج، ففي يوم لا يتبين ملامحه جاء من بعيد بعيد جدا من لم يقم بمراقبتها يوما ليأخذها منه للأبد.

* * *

أنتِ.. نعم أنتِ يا من تتصنعين اللامبالاة.. نعم أخاطبكِ.. كفي عن ادعاء عدم الفهم، واكسري أسطوانتك السخيفة وحديثها السانج الذي كرهته عن الأخوة، فأنا لم أكن يوما أخا لكِ ولن أكون.. ظللت بجانبك فقط عسى قشرتك الصلبة تتفتت.. عسى أن أذيبها بعواطفي المتدفقة واهتمامي الحاني.. صبرت وأنا أعلل نفسي بأنكِ ربما قد تعرضتِ لتجربة سابقة أفقدتك الثقة بجنسنا.. هل تعلمين كم فعلت لأجلك؟! كم فتاة رفضتها؟!. كم مرة كنت أود سماع كلمة «أحبك» منكِ ومنيت نفسي أن الوقت قد اقترب.. كم تحملت برودك المعدني وقلت إنها ليست كغيرها من النساء.. كم تمنيت لو تغارين علي مثلما أفعل معكِ؟ الآن سئمتك لم تعودي تمثلين لي نصفي الثاني، بل لم

تعودي تمثلي لي أي شيء، سأرحل الآن قبل أن ينحني ظهري وتتساقط أسناني في انتظار امرأة صخرية!

* * *

نظر إليها في وله.. نعم نحيلة توشك أن تتكسر، لكنه يعشقها، ومن قال إن الأشكال تشكل فارقا! المهم أنها دوما بجواره تساعده.. قضى معها أجمل اللحظات ومعها تعلم كل فضيلة ورأى كل شيء حوله جميلا.. منذ أن التقاها تغيرت وجهة نظره لكل شيء.. تعرف على أصدقاء مشتركين جمعهم حب البحر.. نعم، ألم أقل لكم كم هي تعشق البحر وترتجف عندما تلمسه؟! كم يسمعها تأن عندما لا يجد الوقت الكافي لكي يزور البحر.. البحر هو هوسها وصديقها وحبها الأول، لا يمانع ما دام يحبانه سويا..

.. لن أستطع أن أعذبها أكثر من ذلك سأحملها على ظهري وأذهب للصيد.

توحد

أحبها! لم تأت بجديد.. الكل يعرف.. هي تبادلني الحب وذلك هو أفضل ما قدمته لي تلك الحياة، فأنا لست من المحظوظين الذين أكرمتهم الحياة بما يستحقونه أو فوق ما يستحقون، كنت دائما أحصل على القليل من كل شيء حتى.. حتى التقينا.

أحبه! من لا يعرف قصتنا! كل ما يعرفه الناس أننا معا منذ سنوات لكن ما لا تعرفه أننا بداخل بعضنا البعض منذ الأزل. يعتقد أنه ابني وأنا أفهمه، فأغلب الوقت أشعر به في أعماقي بداخل رحمي، ولكن الغريب – وما لم أخبره به – هو أنني أغلب الوقت أنا التي تشعر أنها ابنته.

غريب الأطوار أنا، صموت، منغلق على ذاتي، خائف أغلب الوقت. كل من يراني يدرك أنني أحمل قدرا هائلا من الألم ربما أكثر مما تعرضت له. عيناي حادتان مخترقتان، ملامحي ليست مريحة، التكشيرة مرسومة على

وجهي أغلب الوقت، فعلا لا أضحك سوى معها؛ عندما أراها.

لم أعتد التعرف على من تطلقون عليهم «الطبيعيون» لا يلفت نظري سوى الشخص المختلف، ليست مزية أفتخر بها، ولكن هذا ما جبلت عليه، لا يأخذ عيني سوى شخص مختلف، فور أن أراه أشعر بدفقة روحه كأنها تلمس وجهي أو تطرق بأناملها على كتفي قائلة: «أنا هنا» أجد نفسي مشدودة بقوة ممغنطة تجاهه. نتعارف.. نتكلم.. يتفوه بأشياء تغلق قلب وعقل أي فتاة، ولكنها بالنسبة لي سحرية وغامضة ورائعة، وتدفعني إليه، أكثر سمعت الكثير من الأقاويل بشأنه كلها كاذبة طبعا، يقولون إنه لا ينتمي لعالمنا وما الجديد! هو فعلا كذلك. مخرفون!

هي الشيء المحلي بطعم السكر، تذوب في فمي كل مرة ألمحها من بعيد، تقترب مني فأشعر بأن روحي تضيء، وبأن أنفاسي تنتظم، وبأنني أخف ولو فردت ذراعي ليس عندي شك أنني سأحلق! عندما نتكلم تنتقل داخلي، أوشك على امتصاصها، ولكن كل مرة أمنع نفسي. الأمر خارج يدي، أود فقط حبسها بداخل قفصي الصدري.. ألن تكون جميلة به!

بعد كل لقاء أشعر بالوهن والضعف ربما لشدة سعادتي وشدة حزني لفراقنا. أن تشعر بالفقد مرة أمر قاتل، فتخيل تعرضك له كل يوم. متى يأتي اليوم الذي نصبح فيه واحدا! لا أحتمل عدم رؤيته بجواري، لا بد أن

تتضمنه كل لحظة؛ كل دقيقة يخبرني بأن هذا اليوم قد اقترب.. يوم توحدنا.

أنظر لها بنهم، أليست أجمل مخلوقات الأرض؟ أليست الأكثر سحرا وتفردا وروعة، أمسك بيدها وأقترب.. أملأ أنفاسي بها وأشعر بأنني أزداد قوة.. ماذا حدث؟ وجهها أزرق وتكافح لالتقاط أنفاسها.. توشك أن تسقط، ولكنني بسرعة أمد يدي لألتقطها. أشعر بالفزع.. حقا يبدو أنني تماديت قليلا.. لأكتف بهذا القدر اليوم، أرغب أن يتم كل شيء بسرعة وما أفعله هو لصالحنا؛ لصالحها، ربما لا تدرك هي ذلك ولكنني أعرف. تركت لي اتخاذ القرارات بشأننا. متخاذل، لماذا جبنت اليوم! حبي لها يمنعني من إتمام الأمر كل مرة، لا أريد أن أؤلمها لذلك فسأنتظر.. هذا ما أفعله.

تنظر أمي لوجهي وتدرك أن شيئا ليس على ما يرام منذ فترة وهي تراقبني ملتاعة: هبة ما بكِ؟ تزدادين شحوبا كل يوم.. أهو خيالي أم أنكِ تزدادين قصرا! أقيمي ظهرك. ماذا حدث أين كنتِ؟ أهرب منها، أكذب بشأن سبب ألمي ماذا أقول لها وأنا نفسي لا أعرف ما السبب! أنا التي تضغط عليه مؤخرا لكي يحل مشكلتنا، كل مرة أعود أسوأ من التي قبلها، ثيابي لا تناسبني، أهزل بشكل غريب، ولكنني أضع طبقات من الملابس حتى لا يلاحظ أحد. يبدو أن الضغط العصبي يؤثر علي كثيرا، أقترب من مرآتي وتلك المرة

أصرخ ما تلك العروق المخضرة بجانب عيني؟ وما ذلك السواد الذي يلف عيني!

اليوم هو اليوم الموعود أخيرا يا هبة، سنصبح معا أخيرا، لم أخبرك بالتفاصيل، سأحاول ألا يؤلمك الأمر، وما لا تعرفينه لن يقتلك. ليس عليكِ معرفة كل شيء. أخبرتك أنني أعد مفاجأة لكِ، صوتك المعبأ بالسعادة يقفز ليقبلني، أترنح منه وأنا أنهي المكالمة. لن أجبن تلك المرة عقدت عزمي. أفتح الباب ليست مشرقة كعادتها، ولكن لا بأس من اليوم لن يراها غيري. أقترب منها وأقبل ما بين عينيها أسألها: هل تثقين بي؟ تهز رأسها وتهمس: إلى حد الموت. إذن لا تقاومي اجلسي استريحي، أغمضت عينيها، أمسكت يدها.. الآن ستسكنين داخلي ستكونين لي.

شعور الذوبان والتحلل يغمرني، لماذا لم أفعل ذلك منذ البداية؟! أجلت كثيرا إتمام الأمر، الآن أنا نادمة على كل دقيقة أضعتها. أتسامى أعلو أحلق، أشعر بأني أخف.. أصغر.. أجمل. أتألم قليلا ثم يزداد الألم لفترة، لم أكن أعلم أن الألم ممكن أن يحمل هذا القدر من المتعة! يغمرني بعدها شعور بالارتياح، لا أشعر بالضعف والوهن المعتادين، أشعر بأنني أقوى. لم أشعر أبدا بأنني أحسن حالا.

أخيرا أصبحنا واحدا، لن يشعر بكِ سواي. الآن لن يفرقنا أحد. ارقدي داخلي في سلام. سأسافر بكِ، سنرتحل سويا، سنرى ألف أرض،

سأكمل رحلتي ولكن هذه المرة سنكملها معا.

أين أنا! لا يهم، أصغر ألف مرة، لا أرى النور ولكن لا أهتم فهو نوري، لا أستطيع الخروج، ولكن هنا مكاني بين الضلوع. هنا أفضل. أصبحت محمية به!

جوع

الساعة الثامنة صباحا.

تمشي كأنها تجري.

تعودت أن تجري ماشية.

فهي بنت وجميلة وفي مجتمع متآمر مقموع.

نفس الشارع الذي تسير فيه منذ سنوات.

لا صوت سوى صوت مقشة في أول الشارع تحاول أن تزيل أوساخ البشر.

لو الأمر بيدها لمنحته نصف راتبها.. لا بد على كل من يمر أن يهبه مالا.

البحر على المدى رائق.. لاحظت أنه كلما ابتعد عنه البشر ازداد

نظافة كأن ذنوب الناس وآثامهم تلوثه.. طالما لا تلامس بينهما.. يكون بخير.. يظل جميلا.

يد تمتد.

ترتعش كل عضلة بجسدها.

تنتفض: ما هذا؟

في أقل من الثانية لمس شخص أخص ما تملك.

يد خبيرة تعودت القيام بالأمر عدة مرات.

يد اختارت اللحظة المناسبة بدقة وبدون تفكير.

يتطاير منها سباب مؤدب.

لماذا لم تنهره أكثر.

لماذا إذن اُخترعت الألفاظ البذيئة؟

لمثل هؤلاء.

لم تخرج عن أدبها الكامل حتى في مثل هذا الموقف.

التفت ليطبع نصف وجه في عقلها.

يخبرها بأنها جميلة للغاية.

تتساءل: أهذا مبرره أم أن هذا عقاب على كونها جميلة؟

متيبسة.. مصعوقة.. مذهولة تكمل طريقها للعمل.

متأخرة.

تمر بجانب الرجل الذي يحمل المقشة.

يسألها ماذا فعل؟ لماذا لم تنادني؟

تمنت لو بصقت في وجهه.

تلك المواقف لا تحتاج النداء أيها الوغد!

كانت مخطئة ليس على المارين وهبه مالا.

عليهم وهبه بصقات.

جسدها متخشب منتصب مستنفر.

تجلس وهي تخرج النقود تلاحظ أن أطرافها ترتعش بشدة.

كيف لم تركض وراءه لتضربه؟ ضئيل الحجم كان يمكنها صرعه.

كيف كانت ستفعل وقد ربتها أمها بأن لا مساس.

كيف ستصرخ وتشتبك معه وهي تربت أن تصمت.

تربت على أن تكون ضعيفة.

تهرب إلى مكان قصي.

تتصل بوالدتها وأختها وتبكي.

لم تظن أبدا أن أحدهم سيدنسها.

لم تعتقد أن هذا جزاء عفافها.

جسدها الذي صانته طوال حياتها.

ينتهك ببساطة.

هي لم تلمس نفسها حتى بتلك الطريقة.

تبكي والدتها وتواسيها أختها.

يدعوان عليه بالويل.

يخبرانها بأن تحمد الله على أن الأمر اقتصر على تلامس.

تحاول الجلوس على مكتبها لكن.

آثار أصابعه العفنة ما زالت تشعر بها.

تعيقها عن الجلوس باطمئنان.

الأصابع الملوثة ما زالت في مكانها.

تود العودة لتستحم لتطهر نفسها.

لا تستطيع البكاء حتى لا يسألها من حولها عن السبب.

الحكي ممنوع.

الصمت مباح.

تنظر لطفلة صغيرة في طريق العودة.

كم من الوقت ينتظرها قبل أن تعرف.

عقوبة كونها أنثى.

في مجتمع من الجياع!

تخلع ملابسها الداخلية وتلقيها في القمامة وتقف تحت الماء.

حساب

أجلس في مطعمي المفضل منتفخ الأوداج كعادتي وأطلب قائمة الطعام للوجبات الخاصة.. حالتي المادية الميسورة تسمح بذلك.. ليس لدي زوجة ولا أولاد، ليس هناك أفضل من حياة العزوبية.. لو كنت أمتلك طفلين أو ثلاثة يملئون حياتي ضوضاء وصخبا ما كنت وصلت لما أنا فيه الآن أعد الأنجح في مجالي.. أمتلك منزلي الخاص بإحدى المناطق الراقية ولدي سيارتي الحديثة ورصيد مكتظ بالبنك.. أقوم برحلة كل عام لأحد بلاد العالم وأستمتع بوقتي.. لدي المظهر الشاب الذي لا يشيخ.. وسيم طوال عمري.. ألمح الحسرة في عيون كل فتاة أقابلها لكن لم ألتفت لأي منهن أنا مكتف بذاتي!

ناولني النادل قائمة الطعام فتحتها ما هذا؟ مكتوب بها كل شيء فعلته طوال الشهر الفائت فغرت فاهي. أي مزحة عقيمة هي تلك؟ قلبت الصفحة لأجد أعمالي السيئة مرتبة في بنود.. كل شيء تم ذكره بالتفصيل.

تفضيل العامل الفلاني على العلاني.. مبلغ الرشوة الذي أخذته.. معاكسة سكرتيرتي الخاصة وبين قوسين ماذا قلت بالضبط وكم المبلغ وأين ومتى! انتفض كل عرق بجسدي وأنا أقلب في قائمة الطعام.. من فعل هذا! أي شيطان يعرف كل هذا؟! وسعت رباط عنقي بيد واحدة وأنا أشعر أن مطرقة مصنوعة من حديد قد هوت على رأسي.. التهمت عيناي السطور بسرعة وأنا أصارع لالتقاط أنفاسي لا أحد غيري يعرف كل تلك التفاصيل لو غيري عرفها لكنت الآن من الهالكين أو وراء القضبان، هناك تفاصيل شخصية للغاية لا يعرفها أحد! مثل المرة التي صفعت فيها شقيقتي، واليوم الذي رفعت فيه صوتي على والدي واتهمته بالضعف والسوقية. اليوم الذي تركت فيه المنزل ولم أعد إليه مجددا، كل عشيقة عرفتها في كل بلد. كل ليلة قضيتها بالتفصيل! رصيدي في البنك.. رقم خزانتي السري! ما الذي يحدث؟! فجأة تحول كل الهلع إلى غضب بالغ.. ناديت بأعلى صوتي على النادل.. رفعت صوتي لأحدث ضجة جاءني النادل مهرولا وعلى وجهه الرعب البالغ والتوتر: ماذا حدث يا أمجد باشا؟ هل هناك ما يسوء؟

ألقيت القائمة في وجهه وقلت وأنا أنفث نارا: من دفع لك لتعطيني تلك القائمة؟ أخبرني أيها الوغد الحقير.

لم يبد عليه أي أمارة من أمارات الفهم بل تضاعف توتره وهو يسأل:

من دفع ماذا؟ هذه هي قائمة الطعام سعادتك!

لطمته على وجهه بقوة وأنا أسأله: أيها الوغد الكاذب.. أريد صاحب هذا المطعم لا بد أن تفصل.

ظهر الذهول على وجهه واحتقن الدم والغضب في وجهه وهمَّ أن يرد لي الصفعة لولا أن أمسكه زملاؤه ومنعوه.. ظللت أصرخ مناديا صاحب المطعم الذي جاء مسرعا وحاول أن يفهم القصة، فقلت بصوت جهوري: البيه دفع له أحد أعدائي ليعطيني قائمة بها أشياء خاصة لتهديدي.. لن أتركك.. أتظن أنك ستنجو بفعلتك؟! سيذلك محامي أنت ومن وراءك.. ليس هناك إثبات على أي شيء.. ظللت أرغي وأزبد والكل يتابع القصة غير مصدقين، حدجه المدير بنظرة جانبية فاندفع قائلا: أقسم لك أنني لم أفعل ما يقوله لقد ناولته فقط قائمة الطعام مثلما أفعل مع كل الزبائن.

احتفظ المدير بهدوئه وهو يسألني: أيمكنني أن ألقي نظرة؟

ترددت قليلا لأن بها أشياء قاسية مخجلة لا أود أن أعرفها أنا نفسي فما بالك بالآخرين! شعرت أنني عارٍ أمام العشرات من العيون المصوبة نحوي كسهام قاسية موجعة مخترقة.. اخترت أقل الصفحات إحراجا وفتحتها وناولته إياها.. سارت عيناه على السطور، ثم ظهرت الدهشة الشديدة على ملامحه وهو يقول بهدوء من يحاول تمالك أعصابه: لا يوجد شيء من الذي

سيادتك تدعيه.

ماذا يقول هذا المختل؟ لا بد أنه مشترك معه.. ربما هو من الذي أعطاها له.. ربما هو صديق الشخص الذي وشى بي.. كم دفع له لإعداد هذا المقلب السخيف؟ أمسكت به أود ضربه هو الآخر، لكن منعني العمال بقوة.. أبعد يدي عن سترته وهو يقول بهدوء: آسف يا أمجد باشا سأضطر أن أطلب منك مغادرة المكان.

تلفت حولي لأسمع الهمسات الغاضبة الحانقة والمشمئزة من شخصي ومن سلوكي.. اختطفت القائمة من يده وأعطيتها لأحد الجالسين وقلت بلهجتي التي تقطر شرا: أتلك هي قائمة الطعام؟ نظر إليها وقلب بين صفحاتها قبل أن ينظر لي في توجس قائلا: نعم هي، وضعها جانبا وهو ينظر إلي في قلق الذي ينظر لمختل اختطفتها من يده وناولتها لأخرى نظرت إليها ثم أكدت كلامه وهي تهم بالانصراف في ذعر.. لا بد أنها تعتقد أني مجنون! لا بد من أنها مؤامرة للقضاء علي وتشكيكي في عقلي. اندفعت للخارج لأعطيها لشخص من خارج المطعم وأنا أسأله: هل تلك قائمة طعام عادية؟ نظر إلي بعينين قلقتين للغاية من شكلي المهتاج ثم التقطها مني في خوف ويتصفحها قبل أن يقول: نعم قائمة طعام عادية.. مادت الأرض من تحت قدمي.. ما هذا الدوار البشع! ليس هذا وقته لا بد أن أتماسك هكذا سيظنون

أن تلك نهاية أمجد الشريف.. إذا سقطت الآن سأعطيهم بالضبط ما يريدون.. لماذا الأشياء تبدو مشوشة.. الجو يزداد برودة.. أسقط.

– «لقد أخذ الله حقك في وقته.. لم يرق لي يوما هذا الوغد التعس سيذهب الآن إلى حيث يلقى جزاؤه».. قالها أحد الندال وهو ينظر لجسد أمجد المسجى على الأرض ويحمل أقصى أمارات الفزع.. ربت على كتف زميله المصفوع قائلا: لنتصل بالإسعاف.

رحال

ينتقل من هنا لهناك. رحلته طويلة دائما. تمنى أن يقترب من القلوب لا من الأيدي. لو عرفه الجميع لأدركوا كم هو دافئ وكم يحب أن يسمع وأن يشعر. لكنه ظل بعيدا يمسح دموع الفرحة ويستقبل دموع الفراق.. أحيانا يرى العين والقلب وأحيانا يلمسهما، ولكنه أبدا ما يرافقهما.. ظل نظيفا، مكويا، معطرا وموضوعا بعناية.

سادية

أنظر بإشفاق إلى هاتفي وأنا أرى رقمه يظهر للمرة العاشرة في أقل من خمس دقائق. ليته كان أقل لزاجة والتصاقا؛ ربما كنت سأتعلّق به أكثر. أعرف أن خبرته بالنساء محدودة وهذا ما جذبني إليه. في بداية الأمر كان بالنسبة لي عالما جديدا أطرق أبوابه للمرة الأولى، ولكن مع الوقت وجدته مملا: يقول إنه يحبني ولكن من يهتم! الكثير يفعلون!

أجلس مع صديقاتي نتندّر على الأغبياء، كما ندعوهن؛ لأجده مرسلا لي: «أحبك». أضحك في سري وأريها للفتيات في زهو. هو مجرد وجه آخر على حائط بطولاتي. لماذا يحبني؟ أعرف أنني جذابة وجميلة، ولكن هذا ليس سببا كافيا لتعلقهم جميعا. كل مرة نفس السيناريو يتكرر. ما الذي أمتلكه يسلبهم عقولهم ويجعلني أسرى بعروقهم كما يدعون؟! ربما دلالي الزائد.. ثقتي بنفسي اللانهائية.. لامبالاتي.. كلهم يقعون في نفس الفخ. لدي التركيبة الناجحة فلماذا أرهق نفسي بالعلّة؟! أنا أمتلكها وكفى!

يتصل بي؛ فأعتذر له. حجز تذكرتين لفيلم رومانسي. كم أكره الأفلام الرومانسية والنهايات السعيدة الساذجة! هل رأيت أو سمعت عن شخص تزوّج من الفتاة التي أحبها؟! هذه الترهات التي يطعموننا إياها ليلا ونهارا، هي السبب في كسر قلوب الكثيرين لأنهم آمنوا بهذا الوهم المدعو «الحب». الحب مجرد وهم سينمائي اخترعه الكُتاب ليسلبونا ما في جيوبنا.

أعرف أن هناك شيئا مختلفا بشأنه. هو شخص وديع، رقيق.. يكاد يذوب كلما رآني. لماذا عليه أن يكون مثاليا هكذا؟! ما الذي وضعه في طريقي؟! أنا إنسانة لا تؤمن بالحب، وهو يعيش ليحب. لماذا قُدّر لنا أن نلتقي؟! لم أكن أود أن أجرحه. إنسان صعب التكرار. لماذا بين كل الفتيات خفق قلبه لي؟! لا بد أن أبتعد عنه بحزم.. أن أمنعه بقوة. حاولت أن أتسلل؛ لكنه يمسك بي كل مرة، تماما كضميري الذي أعياني إسكاته.

ماذا أفعل؟ أأكلمه وأطلب منه أن ينساني؟ أعلم أن هذا قاس للغاية ولكنه لن يفلح معه. سيظن لسذاجته أنني لا أقوى على مواجهته وأنني أعاني وهذا سيعطيه الأمل. لا بد أن أراه بنفسي وأجعله يُدرك أنه لا شيء بالنسبة لي. سأتركه، أخشى أن أتعلق به أكثر.

«أنا لا أحبك يا عادل» قلتها بصوت معدني لا إحساس فيه»، «حاولت كثيرا أن أبادلك شعورك لكنني فشلت»، «أنت فقط لست الشخص المناسب».. «ممل للغاية بالنسبة لي». «أرجوك كف عن ملاحقتي وأرجو أن

تدرك أن حياتي ليس بها مكان لشخص مثلك». «كان اهتمامي بك خطأ كبيرا وأنا أصلحه الآن». توالت صفعاتي على وجهه وهو صامت مُنكّس الرأس. ترى ما الذي يدور بخلده؟

أكاد أتميّز غيظا. لماذا لم يرد على كلامي القاسي؟! لماذا لم يوبخني ويجعلني أدرك أنني نكرة ومخادعة.. حرباء تتلون بألف لون؟ لماذا لم يلمني على الأيام التي كلمته فيها وأعطيته خلالها بريق الحب؟ لقد كنت – ككل مرة – أنتظر ثورة عارمة، واتهامي بأنني مريضة، وبأنني سألقى جزائي. لماذا صمت هكذا! والأدهى أنه سلم علي ثم انحنى على يدي وقبّلها.

قتلني الغيظ أياما. كل دقيقة أرى وجهه الهادئ وابتسامته الجميلة الصافية. ماذا؟ هل قلت جميلة؟ لفظتها! هو لا يحمل أي شيء جميل. إنه متبلّد العواطف؛ لو كان غير ذلك لشعر بالإهانة والألم لفقداني. ربما لم يحبني من الأساس لذا لم يتأثر!.. هذا هو التفسير المنطقي الوحيد. لم يحبني! كيف يجرؤ! ما الذي لم يعجبه في؟! أنا مثالية! المرآة دوما تُخبرك بحقيقتك إن كنت مُضطربا.. أنظر لها وأتأمل ملامحي جيدا. بدا وكأنني أرى وجهي للمرة الأولى. هل فقدت ملاحتي.. قارورة مخدري نفدت؟! فجأة برق سؤال في رأسي: وماذا بعد؟ ماذا سيحدث حين أفقد سحري وروعتي.. إلى متى سأعيش هكذا؟ تلك هي المرة الأولى التي أتعرّى فيها أمام نفسي، وأراها على حقيقتها. لكم أكرهه!

مرت أسابيع وهو متعلق بضميري كخطيئة غير قابلة للغفران. وجهه في كل ركن.. ملامحه انطبعت في ذاكرتي. لماذا لم أمنحه فرصة؟ هو أصدق شخص عرفته. انتظرت أن يكلمني بلا جدوى. كيف محاني بتلك السرعة؟! لقد كان متيّما بي! هذا الأفاق، أكان يحتال علي وأنا المُحتالة على الكثيرين قبله.. لا ليس هو من ذاك النوع؛ إنه نقي.. نقي كقطرة ندى. ما هذا الذي أقوله؟! أتسمعين نفسك!

لا أستطيع الاحتمال. سأقابله اليوم سأنتظره تحت مسكنه، قبل أن يذهب لعمله. لا لست مجنونة أنا فقط أريد خاتمة. ليكتب تتر النهاية لألمي.. لأعرف شعوره، عندما أنظر لعينيه سأعرف كل شيء.. عيناه لن تكذبا. لن يستطيع مقاومتي أدرك ذلك. أنتظر لساعات. تأخر أم أنا من أتيت مبكرة؟! ها هو.. أتقدم خطوات، ثم أتسمّر مكاني.. وأنا أشعر بألف صفعة على وجهي.. من تلك التي يتضاحك معها؟! بهذه السرعة! ينظر ناحيتي. أختبئ بسرعة. لا أعرف لماذا تجمد لحظات، وهو ينظر تجاهي، كأنه رآني. يبتعدان وأحمل أذيال خيبتي للمنزل. أهذا ما كنت أتسبب به لهم؟ أشعر أنني انشطرت لنصفين. الإحساس بالألم يتسرّب لكل جسدي. وَهن ينخر عظامي. أجلس على أقرب مقعد، وأبكي.. لقد أدركت للتو معنى الفقد.

سخط

أغطي نفسي.. أقف أمام المرآة لأتدثر، اللون الأسود مناسب.. أضع طبقة فوق الأخرى.. لا ألوان.. هكذا أفضل، لا أريد أن ألفت النظر.. أريد أن أصبح خفية.

أحكم غطاء رأسي وأحكم معه وضع رأسي، أثبت عيني في الأرض، فكما لا يراني أحد لا أحب أن أرى أحدا؛ جميعهم منافقون.. جبناء.. عديمو المشاعر.. أغبياء، لو ترك الأمر لي ما غادرت المنزل قط.

أنا خير صديقة لنفسي لا أحتاج أحدا. أتعثر في ردائي الطويل ولكن يدا ممتدة لتسندني تمنعني من الارتطام بالأرض. أرفع رأسي قليلا أرى بالطو أبيض يحمله شاب يسألني: هل أنتِ بخير؟

أرد بخجل: نعم.. أرفع جسدي في وضع مستقيم وأنكس عيني.

– هل تستطيعين المشي؟

أرد باقتضاب: نعم.. من فرط ارتباكي تفلت حقيبتي من يدي يلتقطها قبل أن تلمس الأرض وهذه المرة أرى عينيه عميقة جدا وبها شيء مميز.. أخفض عيني في ذعر محاولة خنق تلك الرجفة التي انتابتني.. أشد عباءتي حولي.. يبتسم ويقف.

ما هذه السخافة؟! ماذا يريد الآن؟! فليتنح جانبا.

– عن إذنك.

وهو ما زال مبتسما يقف جانبا.. سخيف، سمج، وقح لماذا لم يطلب رقم هاتفي؟

سَركي

– هل أحد يسمعني..؟

الحوائط مظلمة.. الجو خانق.. ألتقط أنفاسي بصعوبة.. صدري ينقبض.. عضلات وجهي تتشنج باحثة عن هواء. أطرافي تتحول للأزرق.. أنهج.. قد أقتل للحصول على نفس هواء واحد.. لماذا لم أدخر بعض الأنفاس داخل رئتي اللعينة قبل أن أبعثرها شهيقا وزفيرا؟!

بيد نصف ميتة أدق على الحائط. من أغلق علي.. سأقتل هذا الوغد فور أن أعرف من هو!

رئتاي تنكمشان.. ألم أسفل صدري.. كح كح كح.. هل هكذا فعلا يختنق الناس؟ لا أقوى على الصراخ وحتى لو صرخت واثقة إنه لن يسمعني أحد.. الجدران تقترب لتعتصرني.. يبدو أنني بدأت أهذي.. دوار يتملكني.. أسقط.

– عبير.. عبير.. في إيه؟ الورق اللي قدامك مخلصش؟ لسه عايزين توقيع الريس «السَّركي» ده لازم يطلع دلوقتي.

صديقة

أراقبه وهو يكتب ينظر لي فألتفت بسرعة وأتظاهر بانهماكي في القراءة.. يبتسم لي بود كعادته ويناولني آخر قصيدة كتبها، أخطفها منه بحماس وألتهم سطورها بعيني؛ أعشق عندما يفعل ذلك أن يأخذ رأيي في قصائده. أنا أول قارئة له يخبرني بأنني أتمتع بذوق فني راق ربما لأنني أعجب بكل ما يكتبه! هو موهوب بحق.

طالما تساءلت ترى هل يكتب كل هذه القصائد لي؟ بالتأكيد هي لي فهو لا يعرف فتاة غيري متأكدة من ذلك، بالطبع لا يخلو الأمر من جارة أو ابنة خالة يغيظني وجودها في حياته لكنهن جميعا يأتين ويرحلن أما أنا فـ«صديقته الوحيدة» منذ فترة طويلة جدا.. كثيرات حاولن أخذ مكانتي ولكني كنت الأولى والأخيرة، دائما ما يتحججن بإعجابهن بقصائده وتظل كل واحدة منهن تحوم حوله لأسابيع حتى تتأكد من أنني ملكة حياته

المتوجة فتنصرف إلى غير رجعة، لم أكن بحاجة إلى بذل الكثير من الجهد فهو كان يساعدني يصطحبني في كل مكان معه يأخذ رأيي في كل شيء.. يتصل بي عندما يكون وحده وعندما يكون وسط جمع لا يعرفه طلبا للدفء.. تمكنت من أن أترك بصماتي على كل شبر في حياته.. كنت أعلم ما يحب وما يكره.. ما ألوانه المفضلة وجمله المفضلة، عائلته، أنا جزء كبير من ذكرياته، كنا نفكر مثل بعضنا، يأخذ الكلمة من على فمي وألتقطها من على لسانه، أحسست يكملني ولكنه جزء مني.. جزء مني له كيانه الخاص.

أعرف ذوقه في كل شيء، في بداية صداقتنا كنت مندفعة بكل مشاعري نحوه، كم من النادر أن تجد شخص مثلك! لم أهتم بالمسميات ولا النظرات نحن بحياة بعضنا البعض وكفى! لماذا لا يفهم الناس أننا أصدقاء فقط لست مستعدة للارتباط بعد الحياة لا تزال لديها الكثير ولدي فكرة معينة عن الحب لا أنوي التفريط بها، وكذلك هو ألغى فكرة الارتباط من حياته مؤقتا! نحن الثنائي المثالي علاقتنا أسمى وأرقى من أي شيء وجد في هذه الدنيا، معه أنا على طبيعتي وأكثر.

كنت أعتبره صديقة لي ولكن من الجنس الآخر.. بهذه الطريقة لا مجال بيننا للتصنع المعتاد ومحاولة التجمل التي يفني الفتيات والفتيان أعمارهم بها.. معه أستطيع قول أي شيء وفعل أي شيء وتجربة أي شيء.

كنت أهتم لأمره كثيرا وأشعر بالقلق عليه إذا تأخر أو ذهب لمكان جديد أو اختفى لبضعة أيام.. كل يوم نزداد التصاقا واقترابا ونصبح كيانا واحدا.. صديقاتي كلهن يحسدنني أنني بحياتي نوع آخر من الحب والمشاعر، ويتعجبن كيف نحافظ على صداقتنا مطهرة بعيدة عن أي شيء يقلل منها.. كن ينظرن إلي بعين الإكبار، كنت أخبرهن بأنني لست صاحبة الفضل هو أيضا شخص مثالي على الأقل بالنسبة لي.. صديقاتي أثقلن قلبي بقصصهن العاطفية الفاشلة وما يدعونه بـ«المرحوم» لكل منهن شخص أسدلت عليه الستار ووضعت فوق قبره شاهدا وتسجله في قلبها باسم «ميت» ما لي أنا ومال القصص العاطفية؟ أنا إنسانة رقيقة قلبي لا يحتمل الكسر لو خدشت مشاعري صعب أن تندمل.. لماذا أعقد حياتي وهي بسيطة؟! أنا أذكى منهن جميعا.. لا عواطف خاصة لا جرح.

ظللنا نحتمي ببعضنا البعض في الحياة، أبعدت عن حياتي أي شخص آخر، فكل شخص أقارنه به يكسب هو.. لم أتخيله زوجا أبدا، ولكني لم أكن أتخيل أي شخص كزوج من قبل.. هو بحياتي يضحكني ويساعدني ويستمع إلي، ماذا أريد أكثر؟ هو أفضل «صديق» حظيت به منذ فترة طويلة.. لا أحد يفهم أنه ليس هناك مشاعر بيننا سوى ما يسمى «بالارتياح» هذه هي كل القضية.. هذا ملخص قصتنا.. الفرق العمري والبيئي بيننا جعلاني

أحذف أي شيء آخر قد يطرأ.. ناضجة أنا كمشاعري، لذلك فقد استمررنا في حياتينا وصممنا أذنينا عن كل نداء سخيف، ساعدني في ذلك أنه لا يغار، لا يستفز، وأنه بطبيعته غير فضولي بالمرة، ويمتلك مشاعر يدعوها بـ«الباردة» ضايقني هذا في أول الأمر، لأنني عكسه في تلك المنطقة، ودائما ما يعجبني الأشخاص ذوو المشاعر المتقدة، ولكني تعودت على طبعه وتفهمته.. الحياة ظلت سعيدة بيننا، ولم أكن أطلب أكثر، فالسعادة التي شعرت بها كانت أكثر من كافية، كان هذا حتى ظهرت «سمية»، من أين أتت؟! لا أعرف بالضبط، لكني أتذكر أنها أصبحت تظهر كثيرا في محيطنا.. في المكتبة.. في السينما.. بجانبنا في قاعة المحاضرات، لم ألحظ في البداية اهتمامه بها، ربما لأنني كنت أثق به إلى حد مبالغ فيه، أو ربما لثقتي في نفسي وفي مشاعرنا تجاه بعضنا، ربما لم أكن أعرفه بالقدر الكافي، أو تخيلت أنني اطلعت على كل شيء مهم، بعد ظهورها تغير كثيرا، لم يعد يهتم بي كالسابق، لم أعد أنا التي أشعر بالغيرة، لكن أصبحت هي من تشعر بالغيرة – وهذا حقها – من مجرد ذكر اسمي، تحول ليصبح حريصا على رضائها، ثم أخذ يتباعد شيئا فشيئا متحججا بألف سبب، ثم أصبحت هي قارئته الأولى وصديقته وحبيبته وأصبحت أنا «طيفا»، بهت دوري في حياته، وأصبحت صورتي تذوب تدريجيا، لم يفتقدني كما اعتقدت أنه سيفعل، فقد

ملأت هي حياته وأطبقت بجناحيها على كل جزء منها.

لم يعد مهما أنني أعرفه أكثر منها أو من نفسه وأكثر مما ستفعل هي يوما.. ليس هذا مهما مفهومي عن المشاعر والصداقة والحب تغير كثيرا منذ ذلك الحين، فهمت أن فكرتي الساذجة عن «المثالية» و«الصداقة» و«الاكتمال» ليست مهمة، فهم لا يبحثون عن فتاة تكملهم أو تتوافق معهم.. الأمر ليس هكذا.. هو دائما ما يبحث عن فقط «فتاة» بها شيء يجذبه، لا يهم الاهتمامات أو التقارب، المهم أنها مقاربة لصورة صنعتها مخيلته.. صورة تتداخل بها العادات والتقاليد.. صورة الفتاة التقليدية التي تربي الأولاد وتجلس بالمنزل ولا تفكر كثيرا ولا تجادل كثيرا.. أو كما فهمت الصديقة تتوارى إذا ظهرت الزوجة.. لملمت أجزائي وابتعدت عنه في صمت.. ماذا عني؟ متزوجة منذ خمس سنوات من ابن خالتي شخص مختلف للغاية عني.. من أتوافق معهم لا يصلحون لي، قررت أن أفعل مثله وأغلق قلبي وأغمض عيني وأقفز.. أن أختار على أسس عقلانية صرفة وبنفس نظرية اللامنطق.. سعيدة؟ لا أعرف.. ولا أهتم أن أعرف، لقد تركت كل رومانسياتي الساذجة وراء ظهري.. أنا الآن بنت الواقع.. لم أعد صديقة.

صفقة

وقفت أمام المرآة لتزيل زينتها الكاملة.. أهدابها الطويلة التي وضعتها لتخف عينيها، صابغ شفاهها الذي وضعته لتخف شفاهًا اعتادت أن تتقافز منها الكلمات، تخلع حذاءها الأحمر ذا الكعب المطقطق الذي ترتديه ليعلو صوته على صوت أفكار رأسها، دخلت لتغتسل من عطرها.. العطر الفواح الذي وضعته خصيصا ليشوش على عبق من نوع آخر كان لها لم تكن وظيفته هي إرباك الحاضرين.

وقفت مرة أخرى أمام مرآتها لتزيل وبقوة طلاء شفاهها تضع طبقتين في كل مرة لتحرص على ألا تتكشفان أبدا، فجأة توقفت يدها؛ جزء من وجه آخر لاح وحاول البزوغ.. وجهي الحبيب كم أفتقدك! متى كانت آخر مرة رأينا بعضنا قبل أن أضع هذا «الماسك» البشع؟! تداركها حنين وهي تلمسه بيد مرتعشة هل هو هو؟ هل ما زالت تملك وجها خاصا بها؟!

متى أول مرة قررت وضع قناعها؟! أكان يستحق ما حدث هذا القرار الباتر؟ أن أضع وجها يخنق وجهي ويخفيه! لم يكن الخطأ خطئي ولم أكن مذنبة لأعاقب نفسي بكل تلك القسوة!

قرارها الخاطئ الذي اتخذته منذ سنوات بأن تختفي.. بأن تسكت صوتها وبأن تطفئ عينيها، ساعتها كان هو الحل.. كان أمامها حاضرا مبتسما يعدها بأن يظهرها قوية، غير مبالية، يعدها بأن يخفي ثقوب روحها ويعطيها مظهرا موحدا.. مظهرا مقبولا للكل.. معه هي فاقدة سحرها.. ولكنها عند حسن ظن الجميع.

متى استحسنه كل من حولها حتى ظن الكافة أن هذا هو وجهها! ستخلعه نعم ستفعل.. كفاه محوا لها.. كفاه امتصاصا لأنفاسها.. هذا الوجه البشع! نظرت إليه بكره، سأمزقك حتى لا يعلم أحد كيف كنت.. ارحل واتركني أيها القناع الجامد الخانق القبيح. وماذا عن خطيبك؟ لم يعرفك سوى به، بواب العمارة، بطاقتك الشخصية.. رخصة قيادتك.. أصدقائك.. لن يميزك أحد من دونه.. لقد سكنك لفترة طويلة حتى ظن الجميع أن هذا هو موطنه.

نظرت في المرآة لتجد ملامح وجهها الأصلي تذوي وهو يحاول بشدة أن يظهر فوقه.. أن يبعده.. حاولت أن تمسك به وتمنعه من الأفول.. انتظر

انتظر لدي الكثير لأقوله.. لدي الكثير من الحكايات.. لا تذهب.. لا تتركني وحدي معه؛ لم يبد أنه سمعها فقد غاص وتلاشى أكثر.. لم تعرف ماذا تفعل لتوقفه بحركة عصبية، التقطت فرشاتها وقذفت بها في لوحتها العاكسة.. تكسرت ملامحها، التقطت قطعة من الزجاج وحاولت أن تزيله بها. وهي تصرخ: ابتعد ابتعد عني.

بدا واضحا أنه قد اتخذ قراره وأنه لن يتركها بسهولة.. حاولت تمزيقه بكل ما أوتيت من قوة.. تساقطت الدماء وجرح وجهها ولكن الآن همها الأول أن تتخلص منه.. ألقته بعيدا ونامت محتضنة وجهها والدموع تغرقه. في الصباح نظرت في المرآة لوجهها المجروح الذي لا يعرفه أحد.. لسعتها الحقيقة.. هذا يوم جديد ولا بد أن يمضي لقد خسرت أمامه.. لقد سيطر على حياتها.. أين هو؟ لا بد أن أجده كيف سأواجه كل شيء؟

قلبت الغرفة في عصبية وهي تفكر في الأسوأ، ماذا سيحدث لو فقدته؟ سيتركها كل من حولها.. ستنهار.. سيتهدم كل ما بنته.. أخيرا وجدته ملقى بجوار حذائها اللامع.. أمسكته بلهفة وببراعة محترف اعتاد الأمر لسنوات.. نظرت في مرآتها المكسورة وبدأت في وضعه وهو لا يزال يبتسم.

قميص

يقف أمامي دون أن ينطق ولو بكلمة واحدة، وددت لو كان هذا اللقاء مختلفا.. إنها المرة الأخيرة التي أراه فيها.. لماذا لا ينطق؟! لماذا لا يبكي.. يصرخ بي أتمنى أي رد فعل حتى لو صفعني! حتى عينيه لم يتسن لي رؤيتهما، لأنهما غرقتا في ماء شفاف.. خبر زواجي القريب لم يتوقعه.. ولأقل الصدق ولا أنا توقعته! لكن بداخلي أيقنت أن هذا اليوم لا بد أن يأتي.

وقفت أمامه صامتة، لم أرد أن يكون وداعنا الأخير صامتا كئيبا لذلك استجمعت شجاعتي ووقفت على أطراف أصابعي وطبعت قبلة على خده.. تمنيت لو تخرجه هذه القبلة من سباته العميق، أن يعتصر ذراعي بقوة وأن يدفعني إلى الحائط صارخا: لن أتركك أنتِ لي، لو فعل لتركت كل شيء ورائي وتبعته.. لو فعل كنت سأنسى كل ما فات وسأصم أذني عن كل نداء للعقل.. لو فعل لم أكن سأفكر سوى به لكنه لم يفعل.. فقط رأيت يده ترتفع

ببطء لتلمس مكان قبلتي، لم ينظر لي كأنه لا يراني أمامه، لكنني أقسم أنني لمحت ابتسامة ضعيفة تحاول الخروج.

لقد خبرت الفراق مرات كثيرة بقلبي من خلال المئات من الروايات والأفلام.. كل مرة كنت أبكي بحرقة.. لماذا لا أبكي الآن؟! لماذا أشعر بجفاف قلبي وتشققه.. لماذا لا تطاوعني دموعي وترفض الانحدار!

لم يتحرك، ألقيت عليه نظرة أخيرة.. كم يبدو وسيما! طالما أخبرته أن هذا القميص يجعله وسيما، لونه مناسب لبشرته ويبرز لون عينيه و...

ابتسمت وأنا أبتعد.. وأنا ما زلت ألمح شبح الابتسامة.

عبور

صوت طرقعات كعبها العالي على أرضية المطار.. عطرها الفواح.. تنظر عبر كل مرآة مجاورة لتتأكد من أن كل شيء يبدو رائعا. تبتسم لكل وجه تقابله، لأن عضلات وجهها ترفض أن تفعل العكس بفعل الاعتياد والتدريب الشديد. ترفع رأسها وتشد عضلات ظهرها ومعدتها، هي محط الأنظار، لأنها المشرفة، يعني هذا أنها ذات رتبة أعلى من رفيقاتها، ويعني أيضا أنها تتقاضى أجرا أكثر. كل فتاة تقابلها ترمقها بحسد، الكل يريد أن يطير!

شعرها يضايقها.. مشدود أكثر مما ينبغي، ولكن هذا أقل مشاكلها الآن فقد أتت الرئيسة؛ تنتظم مع بقية الفتيات في صف تتفحص أظافرهن وملابسهن ورائحتهن. تتأكد من أنهن لا يعانين من آثار النوم، وأنهن اعتنين بمدى سمك حواجبهن، وأنهن مذهلات. يظهر على وجهها الامتعاض وهي

ترمق واحدة بإشارة يعرفنها جيدا.. تأمرها بأن تغادر الصف، وبإشارة مختلفة فتاة أخرى تحل مكانها. تبتسم برضا لأنها أكملت مهمتها المقدسة وتمنحها هي فقط –وحدها – إيماءة رضا.

تزيح الرباط الخانق، تترك رأسها ليرتاح قليلا من طنين الألم المصاحب، ثم تدرك أنها لا تمتلك الوقت الكافي فتمسك بالرباط وتعيده لسيرته الأولي، تخرج طلاء الشفاه وتضع طبقة أخرى ومجددا تنظر للمرآة.

الكل يريد أن يطير.. وممن يلومهن؟ ألم أكن واحدة من الحالمات! يرمقها خالد بنظرته التي تعرفها جيدا، النظرة التي تقول «أنا احبك وسأظل لكن الأمور أعقد من قدرتنا» تشرد في اللحظة التي أوشكت فيها على تقبيله. اللحظة التي تظن أن حياتها لم تكن ستعود كالسابق بعدها، تشيح بوجهها بسرعة حتى لا تلقي بنفسها بين ذراعيه وتبكي. تبتسم لعمر هذه المرة، النظرة مختلفة، فهي لا تخاطب عينيها. تتظاهر بأنها لا تلاحظ حملقته المثيرة للشفقة وتحييه، يرد السلام وهو ما زال منشغلا بها أو بالأحرى ببعض منها، لا تصدق أن عليها احتمال هذا الأحمق لرحلة أخرى! تود صفعه ولكنها لا تفعل؛ تمرنت على ذلك بعد ألف عين مرت من خلال جلدها.

صعدت للطائرة لتتأكد من عدد كل شيء، لا تعرف أي فائدة من

العد، فمثل كل مرة ستقوم الفتيات بإفراغ زجاجات المياه في المرحاض لإحراجها أمام المسافرين وتوريطها في التبديد أمام الشركة، واتهامها بالتقصير، وككل مرة ستتصل بكابتن «محمد» ليأتيها بزجاجات بديلة على حسابه أو يضيفها لنفقاته.

يتدفق الركاب، تحييهم وتواصل ممارسة «الابتسام»، بعينها الخبيرة تضع علامات حمراء على الركاب المهووسين والمتطلبين لتجنبهم، أو لتكن عند حسن ظنهم. «تحب عملها» هذا ما تخبر نفسها به طوال الوقت.

تطوف بنعومة، تحلق، تنساب. موهوبة في إرضاء من حولها. يرمقها باب الطائرة، تتصبب عرقا، وتحاول الابتعاد، لكن عينيها لا تكفان عن الالتصاق بها. تشعر بأنه يعرف سرها ويناديها. تسمع صوته وتتلفت حولها، بالتأكيد هي تتخيل؛ تتجاهله لكن يمزق ظهرها نظراته المزعجة. تركله بقدمها بهدوء لكنه لا يكف. تشعر بالتعب، تجلس أمامه وتتأمله يفصل بينها وبين عالم آخر لو فقط تعبر من خلاله الآن. هل لو فتحته وقفزت سيلاحظ أحد؟

غلة أعين

أجلس وحدي وبيدي كتابي المفضل أقرأه.. رواية رومانسية شديدة العمق والهدوء.. مثلنا.

السماء تمطر، أبتسم بسعادة ويغمرني شعور بالدفء. أراقب الوجوه المتجهمة المسرعة، أيعقل أن يشعر أحدهم بالضيق من المطر! أخلع معطفي الثقيل وأقف في الخارج تحت القطرات المتتالية، أليس الطقس هو الأروع! أطلب شيئا.. النادل شديد الظرف، لأنني أجلس وحيدة، أضحك بداخلي وأنا أتخيل خيبة أمله عندما تصل أنت!

تأتي متأخرا كعادتك وتعتذر، لم أشعر بغيابك لكني أؤنبك لكي لا تكررها.. سرعان ما نندمج في الحديث.. أخبرك بأن لدي شيئا مهما لأقوله.. تنظر لي باهتمام.. أتلعثم.. يتورد وجهي كعادتي، وكعادتي أيضا أخبرك بأنني متوترة، لا أخجل من توتري أو منك.. أعرف أنك تفهم كل شيء

بصورته الصحيحة.

تقترح أن تغلق عينيك كي أتمكن من الحديث.. أضحك وأنا أطلب منك ألا تغلقهما.. لماذا تبعد الشيء الوحيد الذي يعرفني أكثر! لكن ربما السبب هو عيناك.. هما من تمنعانني.. فأنا فعلا أشعر بها بداخل قاع عيني ترقدان بها وتتنفسان.. اختلطت عيوننا فعجزت عن التمييز هل عندما أنظر لشيء هل أستخدم عينيك أم عيني؟ هل عندما يعجبني شيء أكون أنا أم أنت! المرة الأولى لم ألحظهما ولا المرة التي تليها ولكن شيئا أخبرني أن علي أن أراهما ثانية.. أن أمنحهما نظرة متمهلة فاحصة معتنية، بعدها أصبحت كل الأعين لا تجذبني ولو كانت جميلة.. الأعين كلها زجاجية.. كلها ما عداك.. فهما الأصفى والأعمق والأكثر شغفا.

نستغرق في الحديث.. يبتلعنا.. أمنح نفسي الوقت لأرتب ما سأقوله.. أحب سماعك تتكلم لديك طريقة محببة في رواية كل شيء.. تسهب في الحديث عن مواقف حياتية وأعلق أحيانا.. أنتظر حتى نخرج لكي أتجنب نظرتك المحاصرة.. أخبرك بالأمر الهام، لا ليس كما توقعت، لن أقول شيئا جنونيا يربكك.. ليس لدي النية في تعقيد أي شيء.

خرجت الكلمات غير مفهومة، أنا نفسي لا أفهمها فكيف بك! الغريب أنها بداخل عقلي كانت ذات معنى ولها وقع آخر! أحاول جمع

بعض القطع المتناثرة.. منذ متى لا أصيغ الكلام بدقة متناهية! تفهم قليلا أو هكذا أحب أن أعتقد.. تتكلم قليلا الآن.. لديك طريقة ما مع كل الفتيات تجمع بين اللباقة والمجاملة، ونعم المغازلة! لماذا لا تعاملني بها؟ طريقتك معي مختلفة تجمع ما بين اللطف البالغ والاحترام المطلق والتمسك الحريص.. أسألك مباشرة عن السبب، لم تتعود مني تلك المباشرة لأني لا أستخدمها معك، إجابتك غير واضحة، لا يهم أنا أعرف.. لا يستطيع أي شخص- حتى أنت – أن يتحدث معي هكذا.. السبب هو أنا! لدي طريقة تجعلهم يبتلعون الكلمات، نسير متجاورين، تحرص على أن ألزم الجانب الآمن من الطريق لم أخبرك بأنني لا أعبأ وأنني سئمت الأمان، وهل تظن أنه لو حدث لك ما يسوء أنني سأكمل حياتي سعيدة أو أنني سأتمكن من العيش!

نعبر الطريق أسرع خطواتي فتعلق «لا تخشَ شيئا صنعه الإنسان» أبتسم وأردد داخل نفسي «لا أخشى شيئا وأنا معك» ألوّح لك مودعة الآن تريد أن تغلق عينيك.. لماذا لم تغلقهما منذ البداية!

قفزة

تك.. تك، تنظر لساعتها، العاشرة مساءً الوقت متأخر ولكن ستكلمه، لا بد أنه مستيقظ؛ تعرف مواعيد صحوه ونومه بعد صداقة دامت سنتين. يقيم في محافظة أخرى ومختلف الطباع عنها كثيرا ولكن شيئا جذبهما لبعضهما، هناك شيء مريح بشأنه يملك عقل مختلف، الاختلاف دائما ما يتسرب في خلاياها ويبدأ في امتلاك أنفاسها واحدا تلو الآخر حتى يتملكها. نعم هو فتى ولكنه الأقرب، لم تجد في بني جنسها من تدوم صداقتها بها، لأنها أجمل وأذكى وعلى عكسهن تمتلك قناعات خاصة بها. لا تتشكل، لا تتميع، ولا تتلون، لذلك سقطت الذبابات.. تقصد الفتيات من حولها، نورها أحرق أجنحتهن الهشة التي لم تألف الطيران. سأكلمه.. أحتاج إليه وفعلا أفتقده!

يأتيني رنين الهاتف بنغمته التي خصصتها لها، على الرغم من بعد

المسافات بيننا ولكنني وجدت فيها ونيسا لوحدتي الفكرية، من وسط زملائي الكثيرين لم أجد فيهم من يصلح صديقا، لكنها فعلت على الرغم من أنها فتاة تصغرني قليلا، شيء فيها يجد طريقه إلى عقلي، لكن من يهتم؟ ما زلت لم أغفر لها لومها الشديد لي على علاقتي بعلياء، الأفضل ألا أرد على الرغم من تواصل محاولات الاتصال.

لماذا لا يرد؟ يبدو أنها تلك الفتاة التي تشغله مؤخرا، تذيقه الويل وترغمه على الرقص حولها. لن تجد مثله، يبدو صلب القشرة من الخارج ولكنه يمتلك براءة طفل. ربما طريقته المباشرة وانطلاق لسانه أرهباها ولكن محظوظة هي من تجد من يحبها في تلك الأيام لتسألني أنا.. الحب الحقيقي الصادق شيء نادر، الحب يختلف عن الرغبة وعن الاشتهاء ليتها تعرف كم هي محظوظة به وكم هو مغرم بها!

قربها مني كصديقة لم يمنعني من تقليل التواصل معها منذ أن لامتني على اهتمامي بزميلتي علياء، تقول لي إنها تضع كثيرا من الأقنعة، لكن لا يهم فأنا أحاول التواصل، هي من النوع المختلف ولكن لا أعلم ما يجذبني لها مؤخرا. عرفت من المقربين لي أنها كانت ضحية لأحدهم يوما ما، ومنذ تلك اللحظة وهي تضع جدارا سميكا بينها وبين كل من يحاول التقرب، لكنني ما زلت أحاول.. فيها لغز يغريني لحله، منذ صغري وأنا

أعشق حل الكلمات المتقاطعة.

ومن هي لتحكم لا تعرف شيئا عن فتيات تلك الأيام ربما يعشقن «اللف والدوران» ولعبة تكسير الأجنحة، ربما هي ساذجة لإيمانها برومانسيتها التي لم تدخر الأيام جهدا في إثبات مدى سخفها، ما فائدة الإيمان بالحب سوى تآكل الروح، الحب مثل الحمض الحارق يأكلك حيا.

ما زالت أنظر لهاتفي معاتبا له على تواصل رنينه، ولم يعاتبه؟ ربما يشكره على معروفه، الصمت حين يطبق على النفس يخنقها، كثيرا ما تصور الكلام بعد طول فترة الصمت كالمقدم على نور النهار بعد عتمة ليل طويل، أولها مقلقة ولكنها بعد ذلك تبعث على الدفء والاطمئنان، أخذ شهيقا طويلا وأخرجه ببطء، وأرد بارتياح حذر.

يرد أخيرا.. أكلمه طويلا، يتكلم بطريقته السريعة وأتكلم بطريقتي الأسرع، تتساقط منا الحروف ولكن من يحتاجها؟ نفهم بعضنا البعض جيدا لا نحتاج لكلمات لنتواصل؛ ننهي المكالمة، أشعر براحة غريبة تتسرب في أوصالي. أن تفضي بمكنون روحك لشخص يفهمك هو شيء لا بد أن تمتن له في ذلك العالم القاسي.

أعتقد أنني لن أندم على شيء كنت سأفعله بقدر ندمي على التفكير في عدم ردي عليها، دائما أجد شيئا فيها يقترب من ذاتي، يتوحد معي

ربما، شيئا يخبرك بأنك لست وحدك في هذا العالم الهلامي الحزين، أحيانا أتركها تتحدث على الطرف الآخر من المكالمة بينما فقط يذكرني صوتها بمئات التفاصيل الصغيرة بيننا، أول ما جذبني لإضافتها لخانة الصداقة هو حبها للقصص الحزينة مثلي، اهتمامها بتداخل الألوان على الأسطح، ومن مكان لمكان تتحرك برشاقة في ذاكرتي ليومض جزء أراد أن يزول ولكن من أجل صداقتنا العميقة يبقى، كل تلك التفاصيل يتوجها صوتها الطفولي الحنون، هو ما يمسك لوحة التحكم ويعبث بها لتتقلب الذكريات بيننا.

هل سبق وأغضبني؟ كثيرا.. مصطلحاته تضايقني معظم الوقت، أخطاؤه ليست جمة ولكنها تثير أعصابي، يعتذر كل مرة فأعود وأغفر له. يحرص علي وأحرص عليه لأنني لمست هذا الجزء المنير داخل قلبه.. هذا الجزء الأبيض الذي يحرص الرجال جميعا على إخفائه ظنا منهم أن إظهاره يضعف رجولتهم. عندما يشعر بالضيق أشعر به من على مسافة أميال. أرسل رسالة أسأله عن حاله فأجد أن ما أخبرني به قلبي صحيح وأنه يعاني. لا أعرف ما المدخل فهو كحال كل الرجال يحتمي بكهفه في حالة الحزن. أحترم ذلك ولا ألح، فقط أخبره بأنني هنا وأعرض الاستماع أو أرسل له شيئا أعرف أنه يحبه غالبا موسيقى أو أغنية فهو لديه ذوق ممتاز مثلي!

هي تعتقد أني أتلذذ بمضايقتها ولكني في ذلك الوقت أغرد خارج

سرب الأمل، أكره أن أخطو خطوات القطيع، وأنصاع لأوامر قائد القطيع، يبدو أنهم سعداء لكنني لست كذلك، عملي أصبح مملا لأقصى درجة، لا يكاد يخلو الأسبوع من تحقيق أشياء عدم فعلها أفيد، هي أيضا لا تقدر أنني ما زلت أرغب علياء، أجدني أسعى جاهدا خلف شيء أعرف أنه سراب، لكن ربما السراب يكفيني الآن حتى أرتوي، كل شيء أصبح يطاردني حتما، حتى نفسي.

مؤخرا بدأت الحياة تضايقنا أكثر من المعتاد، الأبواب أغلقت في وجهينا. شعور العدمية واللافائدة تمكنا منا. إحساس يسيطر عليك بأن كل شيء «دي جافو» أو شوهد من قبل. تعرف البدايات.. الأحداث.. النهايات. أصبح كل شيء مملا، وكل حدث مكررا كأنك تشاهد نفس الفيلم مئات المرات، لا ليس كأنك تشاهده كأنك قد حبست بداخله! فقدنا القدرة على الحكي، الابتسام، التظاهر. أصبح كل شيء لزجا وبطعم العلقم. كل شخص تحول ليصبح مدعيا ولزجا وكل حدث أصبح تافها وسخيفا. الحياة انسحبت ألوانها.. فقط أبيض وأسود.. أسود وأسود.

لا تحدثني عن فائدة الحياة.. فقد أدركت عدميتها.. كل شيء أصبح في اتجاه واحد ممنوع المرور في الاتجاه المعاكس، ممنوع الرجوع، طريق إجباري للسادة المرور، كل شيء بداية.. وسط.. قوة مشاعر.. نهاية، حتى

حماسك لعملك أصبح كذلك، فرحتك بأول ملابس للعيد ما تلبث إلا أن تصبح عادة قديمة، أول مرة تضحك من قلبك، حتى أول خطوة تخطوها أصبحت آلاف الخطوات، وحتما لا ترغب في أغلبها.

كيف اتخذنا هذا القرار؟ لا أذكر أنا من اقترحت أم هو؟ ولكننا في الوقت نفسه فقدنا القدرة على التظاهر بالحياة. قررنا وضع حد لتلك اللعبة السخيفة. ليس هناك أي تغيير في حياتي، ثبات يعادل الموات، وظيفة حكومية، وحدة، خنق. هو ضغط، فشل، اختناق.

لا بد من وسيلة لعلاج ذلك، أصمت وأفكر، أريد حلولا لكني لا أقوى على أحدها، لم أعد أرغب في المواجهة، أمسكت سماعة الهاتف، ضغطت اسمها، وأول ما نطقت «ما الحل»؟

الحل؟ قطعنا تذكرتين على قطار بلا عودة.. سنسافر. ملأنا جيوبنا بالحجارة. وقفنا أمام كاتم أسرارنا وصديقنا الأوحد البحر. هو الشاهد على كل حياتنا. أمسكت يده تلك المرة الأولى التي أحتضن فيها يده هكذا، كنت أعرف أنني جبانة ولكن ليس إلى هذا الحد. جسدي تنقصه الدماء، شفتاي تحولتا للأزرق. أنظر إليه ليس بأفضل حالا.

لم أعتقد يوما أن تكون النهاية بتلك السخافة، ما زلت أشعر بسخافة ما أفعل على الرغم من عزمي الشديد عليه، فكرتها أن نملأ جيوبنا حجارة ما

زالت تضحكني، أشعر برجفتها عندما تعانقت يدانا، لا يبدو علي الكثير، فقط أحتاج أحدا يعرفني جيدا ليقرأ ذلك، أنظر لها، أتأملها، تلامس عيناي وجهها الحزين وتغلق عليه.

أضغط على يده بقوة، أشعر أن دفء روحه يتخللني، توقف جسدي عن الارتعاش. مهما كان ما سأفعله ما دام معه فأنا موقنة أنه صواب؛ نحن على صواب. أنظر له.. أستعيد جزءًا من روحي، أبتسم ولا نقفز.

هبة بسيوني – محمد فتحي

قميص نوم أرجواني

تضع عنها قميصها الوردي، لن يلاحظه على أي حال. فقد إحساسه بكل ما بها منذ أن قالت أوافق لو لم تفعل لظل هو عاشقها المغرم. ما زلت أحبه سأرتدي القميص الأبيض ليتذكر أول ليلة لنا معا، تؤرجح رأسها للوراء ثم تقول: ولكنها ليست ذكريات رائعة. تضحك بشدة وتعيده مكانه. اللون الأسود لونه المفضل. الأسود القصير إذن، أم يفضل الطويل. لا تتذكر! يبدو فعلا أن شرارة حبهما تخبو أم أنه لم تكن هناك شرارة في الأساس؟ لا بد أنهما قد امتلكا واحدة يوما ولكنها لم تكن قوية ثابتة كما كانت تعتقد بل ضئيلة خافتة. تركاها في الهواء لتذبل. هي أم هو؟ ليس هذا وقت إلقاء اللوم، بالتأكيد كلاهما يتحمل جزءًا من الخطأ. تلمس قميصها الأرجواني وتبتسم بعذوبة متذكرة شيئا.. ليكن.

ترتديه وتقف قبالة عطورها تلمس فوهة كل قنينة بأصابعها الناعمة. هذا أم تلك أم ذاك؟ تمرر كل واحدة على أنفها لتختار عطرا لها هي

فالقميص له. اختارت العطر الذي وضعته عندما خفق قلبها للمرة الأولى. لم تكن معه هو خفقة قلبها الثانية.

سيعود مبكرا من عمله لذلك حجة الإرهاق مستبعدة. تخرج من درجها بعض أدوات التجميل لا يحب أن تتجمل، مع أنهما وحدهما إلا أنه أخبرها أنه يخشى أن يطرق الباب طارق وهي على تلك الحال! لم تقتنع ولكنها منذ ذلك اليوم لم تضع أحمر شفاهها قط!

تتطلع لمرآتها، جميلة بحق ربما أكثر مما يستحق. لاحت منها التفاتة لبعض الخطوط البيضاء بذراعها، تذكرت تعليقه السخيف عليها آخر مرة مع أنها لم تعلق ولو مرة على الحبوب الدهنية التي ملأت وجهه مجاورة آثار مراهقة انطبعت! وطبعا لم تعقب على معدته المتدلية أمامه وتصيبها بالغثيان وبالتأكيد لم تأت على ذكر نفس الخطوط به ولو مرة!

تناولت روبها الأسود لتخفي ذراعيها اللذين لا يعجبانه وتغير وجهها وهي تتذكر تعليقا آخر وآخر وآخر..

مفتاح في الباب، يخطو للداخل بعد مسح قدميه ليجدها جالسة محملقة في التلفاز الضخم وحاملة طبق مليء بالفيشار ومرتدية «بيجامتها» الأرجوانية. ابتسمت له وهي تقول: الغذاء على «السفرة» سبقتك أنا.

لو تريد الاحتفاظ بأسنانك

تقف عند واجهة كل محل.. لا يا أحمق أنا لا أقف عند واجهة كل محل! لن تروي قصتي.. ومن سمح لك أن ترويها في المقام الأول.. سأروي أنا.. وما أدراك بي لتتكلم عني؟! غبي!

أنا أقف عند محلات خاصة.. محال أثواب الأعراس.. براقة جميلة وتمنحني شعورا بالبهجة.. بعض البهجة في الحياة دائما شيء حسن وفي حياتي أنا شيء لا يمكن الاستغناء عنه.. ما هذا الفستان المضحك! بعض المصممين لا يمتلكون أدنى إحساس بالذوق.. بشع.. بشع.. أكثرهم بشاعة.. وهذا سأرتديه لو أردت أن أكون موضع السخرية لسنوات مقبلة.. لا بد من محاكمة من صنعه.

لن آتي مرة أخرى هذا المكان سقط من دائرتي ولأعوض نفسي سأذهب لمكاني المفضل.

أقف أمامه ساكنة، ثوب لونه عاجي مطرز بخيوط ذهبية.. كم أود أن أرى اليد التي صنعته! لو كان رجلا بالتأكيد سأتزوجه ولو امرأة ستصبح صديقتي الفضلى.

سأبدو مذهلة به لو فقدت بعض اللحم.. سأفقده بالتأكيد.. كل صديقاتي فور أن يقعن في الحب يبدأن في الذوبان.. كأن حرارة الحب تذيب شحومهن! ترى ما الذي يحدث؟ لم أفهم يوما أتتذكره فتشعر بالامتلاء؟ أغيب في ثنيات الثوب.. هذه «القصة» ستلائم جسدي تماما لن تلائمه فقط ستحتضنه.. الحجاب قصير كما أحبه.. إذا ارتديتِ هذا الثوب ولو ليوم واحد تصبحين ملكة للأبد.

يقف بجانبي كائن سمج.. ينظر لي وللثوب.. أرمقه في تأفف.. طويل ووسيم، نوعي المفضل يمكنك القول.. يبتسم بلطف.. لا أبتسم لأني لا أبتسم لنوعه.. وجهي تجمد على تعبير الضيق فور أن يقترب مني «أحدهم» مصباح أحمر صغير يضوي بداخل رأسي «تحذير.. تحذير» ثم. يرتسم على وجهي التعبير المقبض الذي تحبه أمي أقصد كانت تحبه.. دعنا من هذا الآن أي فنان صمم هذا الذيل؟! كل من يعرفني يدرك أن ذوقي «عالٍ» جدا ولا أقبل سوى بالأفضل.. يبتسم اللزج مرة أخرى أعرف أنه يظن أنني أريد الزواج لأني أتأمل الثوب في كل هذا الخشوع.. لو فتح فمه الآن ليدلي بأي تعليق سأجعله

يندم أنه تعلم الكلام أصلا.. سأرمقه بـ«نظرتي» لن أصفها لأنها تتحدث عن نفسها إذا لم ترها فأنت من المحظوظين.. نجوت! يبتعد فورا لم تخيب أملي أبدا.

غدا سأرتدي خاتم أمي وسأدخل لأجربه حيلة تفلح دائما.. لا بد أن يعانقني سنكوِّن رابطا خاصا بنا.. فور أن يلمسني سيتذكرني أعرف أنه سيفعل. لدينا موعد غدا.. ألوح له وأرمي قبلة.. يحمر وجهي لا ليس من الخجل بل من الغيظ. الوقح الذي بداخل المتجر ظن أنني أقصده.. لماذا لم أضع قبضتي في وجهه وكسرت له تلك الأسنان السخيفة مثله.. لا وقت الآن، علي أن ألحق بحافلة المدرسة تأخرت كثيرا.. حيوان.

ليس بيدي

أنا شاب في الثلاثين من عمري. ملامحي لا أحب وصفها، لكن البعض يراها مريحة، باستثناء عينين واسعتين لطالما سببتا لي أزمات عدّة. أزاول عملا أحبّه، أسرتي عادية ككل الأسر: يومين للمشكلات ويومين هدوء نسبي.. تسألني ما مشكلتي إذن؟

مشكلتي تتلخص في أنني ملعون. نعم ملعون، لا أتذكر متى وُصمت بهذه اللعنة، ربما عندما بلغت الثامنة عشرة، وقتئذ بدأت أدقق في كل شيء. هذا التدقيق أفقدني الإحساس بأي جمال حولي. أذكر أنني كنت معجبا بفتاة، وفي المرة الأولى لحديثنا شرعت أحملق في فتحتي أنفها. يبدوان متسعتين بالنسبة لوجهها، كأنها تستهلك كمية هواء أكثر منا جميعا.. تريد سحب كل الأكسجين الموجود في الهواء ليكون لها وحدها. لا بد أنها أنانية! لا أتذكر ضيقها وتململها لكنني أذكر اتهامها إياي بقلّة الذوق

وانعدام الشعور، ثم فرارها من أمامي. كانت هذه المرة الأولى. المرّة الأولى تفسح المجال لحسن التصرّف فيما هو آت، لكنهم لم يسمحوا لي بمرات ثانية، ولم أقو أنا على هجر التفاصيل. اعتدت بعد ذلك تجنّب الناس لي كأنني مصاب بالجذام، أنا لا أستطيع السيطرة على تلك اللعنة. لماذا لا يفهمني أحد؟! كلما اقتربت من شخص ما لا أستطيع منع نفسي من تفرّس ملامحه. تضايقهم نظراتي كأنها تعريهم أو تشق عن جلودهم. أنا نفسي لا أحب أن يدقق أحدهم بي. أتفهم شعورهم لكن لا داعي لكل هذا التجنب، حاولوا فهمي ومساعدتي بدلا من إطلاق الأحكام عليّ. نصّب الجميع نفسه قاضيا وأصدروا حكما بعدم الاحتكاك بي. لماذا كل هذا النفور؟!

من يتعامل معي يدرك أن أخلاقي عالية: لا أحسد.. لا أحقد.. لا ألوك سيرة الناس.. أعمل بجهد. كل هذه الأمور ليست ذات أهمية لهم. كل ما يرونه هو عيني المحدقتين. وضعتني تلك اللعنة في مواقف مزعجة ومحرجة إلى حد الموت. لا أنسى تلك المرة التي دققت فيها في صدر إحدى زميلات العمل. كانت تكلمني في أمور تخص العمل، وحانت مني التفاتة نحو صدرها، حاولت المقاومة، ثم استسلمت وأخذت أرمقه بنظرات متتابعة، أتخاطفها بين جملة وأخرى. كم هو مستدير! استدارته مثالية.. يبدو كأنه قد قيست نسبه ليصاغ بكل تلك الدقة! فطنت هي لنظراتي. النساء

يمتلكن حاسة مذهلة لتلك الأشياء. عدلت من وضعها. وضعت بعض الملفات حائلا بين صدرها وبين سهام عيني النافذتين. رمقتني بنظرات تقزز أذابتني. أقسم لكم أنني لست مهووسا ولا قليل الحياء. أنا فقط ملعون. رجل أصابته لعنة.

كنت أبحث عن حل؛ لذا ذهبت إلى طبيب نفسي، وقمت بعمل جلسات استرخاء. تلك التي تستلقي بها على سرير جلدي وثير وتبدأ بسرد وقائع حياتك. الأطباء النفسيون يمكنهم العمل كروائيين عظماء لو كتبوا قصص مرضاهم. قال لي إنه علي مزاولة تمارين للتنفس وعلّمني طرقا للتركيز والسيطرة على أفكاري. لم أتغيّر بنسبة كبيرة ولكن التركيز كان أقل وطأة. حاولت، ولكن لظروف عملي كموظف بمصلحة حيوية، كنت أقف في منتصف الطريق لأعود بعدها إلى نقطة البدء من جديد. في إحدى المرات وأثناء قيامي بعرض مشروع مهم لي أمام مجلس الإدارة تشتت انتباهي وركزت مع شارب أحد الشركاء. كم يبدو منمقا! هل يحلقه بنفسه أم بمساعدة حلاق؟ الشعيرات متناسقة بغرابة. هل يقف في المرآة ليضع شعرة فوق الأخرى؟! ترى هل يضايق زوجته، إنه كثيف نوعا وما أدراني فأنا لم أتزوّج و..

أفاقني من شرودي صياح رئيسي بي. نظرت إليه لأجد ملامحه منكمشة من شدة الغضب، أكملت، ولكن بعدها تم إيقافي عن العمل لمدة نصف

شهر. وخصم المكافآت من راتبي!

قبل أن تلقمني بحجر، وتتهمني بالتعالي والغرور؛ لأخبرك أنني لا أدقق بالآخرين فقط، بل أدقق في نفسي لأرى كل شيء بي قبيحا. لا أمتلك الجسد المثالي. ركبتاي تبدو عظامهما بارزة كأنهما تحييان بعضهما البعض.. أنفي معقوف للغاية. فخذي ممتلئان بصورة بشعة في غير تناسق مع ساقي النحليتين.. أذناي ناتئتان.. بذراعي الكثير من الخطوط البيضاء جراء فقدي واكتسابي الوزن. أنا قبيح لذلك التمس لي العذر. أنا لا أترفّق بنفسي.

تلك اللعنة السوداء قيدت ارتباطي. تبدو فكرة الزواج حلما بعيد المنال، فكيف ستتحملني أي امرأة؟ النساء يكرهن الرجل المتفرّس المدقق وأنا سأدقق بها ليل نهار. المشكلة أنني كلما دققت بالناس، كلما قلّت ملاحتهم في عينيّ. التفاصيل تجعلك تشاهد الصورة دون تشويش؛ لذلك لم أر أي امرأة جميلة. تبدو فاتنة لوهلة، لكن بعد التدقيق تبدو غريبة؛ شفتاها غريبتان.. أنفها ليس في مكانه.. عيناها تلفهما هالات سوداء.

حاولت مرة خطبة إحداهن فأخذت أدقق بكل شبر بها بنفس طريقتي، وهي تتململ وتحاول تعديل وضع جلوسها ثم بدا عليها الضيق الشديد؛ عندما استطالت نظراتي. ربما جعلتها تشعر بعدم الارتياح لكنها عكس الأخريات كانت جريئة وسألتني مباشرة: هل أعجبتك البضاعة؟

ألجمني السؤال، وتفصّد العرق على وجهي، وتدافعت أنفاسي المتحشرجة محاولة الخروج من صدري. أجبتها بصوت مخنوق: آسف أنا.. لم أقصد.. أنا..

احتبست الكلمات بحلقي فابتسمت قائلة: حقك أن تتطلع إليّ، ولكن ليس بتلك الطريقة الفجّة. لكل شيء أصول، ونظراتك تلك تخبرني بأنك لم تسمع عن شيء اسمه قواعد اللياقة أو الذوق وبما أنك لم تسمع عنهما فأظن أن التحدّث إليك سيكون كارثة. انحنت قائلة بهمس: أمامك الآن خمس دقائق تعتذر فيها من والدي، وتخبره بأي حجة للذهاب، ولا أريد أن تقع عيناي عليك مرة أخرى.. قامت من مجلسها، وذهبت أنا سابحا في عرقي. استأذنت والدها الانصراف.. ساقي اللتان تحولتا لعودي مكرونة حملتاني لأول الشارع حيث ركنت سيارتي.

كانت هذه أول وآخر مرة أتجرأ بها وأطلب يد إحداهن بصفة رسمية. لم أذهب لعملي، توقفت عن ملاقاة أصدقائي، أجرت منزلا حقيرا لأقطن به وحدي، ألقيت هواتفي. رافقت الفراغ، صادقت الملل، صرت متوحدا. ألم أقل لك إنني ملعون؟!

معكِ

أستيقظ كالعادة وقطرات من الندى تبلل جبهتي.. صدري منقبض لأنني استيقظت، أكان لا بد أن ينتهي هذا الحلم؟! لماذا لا يمكننا أن نقضي حياتنا فقط في حلم طويل؟! حلم نشكله كما نرغب ونصل فيه إلى ما نريد.. حلم المستحيل فيه يصبح ممكنا.. البعيد يمكن بلوغه.. وأي شيء قابل للتحقق.. لكم أود أن أستغرق في حلم طويل لا ينتهي.. في حالتي أحتاج كثيرا لهذا الحلم.. يزورني طيفها كل يوم.. أشعر بأنفاسها.. بيدها على كتفي.. نفس لمساتها.. تبتسم لكنها لا تكلمني.. لماذا لا تسمعني صوتها! كم أشتاق لسماعها ولو حتى تنطق ببضع كلمات بسيطة.. أبدل أي شيء في الدنيا من أجل أن أسمعها تقول «أحبك ولو لمرة واحدة لا أطمع في الكثير.. مرة واحدة فقط»..

لم ننفصل أنا وهي.. انفصلت أجسادنا لكننا لا نزال معا.. لم تنسني

ولو يوما.. في البداية كنت أراها في أحلامي كانت تبدو فيها أكثر وضوحا.. الآن أراها في كل مكان.. صورتها ماثلة أمام عيني طوال الوقت كبعد ثالث.. هي خلفية لكل الأشياء.. صوتها يمتزج بكل الأصوات.. أفكر في رأيها قبل أن أكتب أي شيء.. قبل أن أتخذ أي قرار.. قبل أن أنطق أفكر.. ترى ماذا كانت ستعتقد؟

من يوم أن انفصلنا جسديا وهي لم تتركني روحيا.. لا أفتقدها ولكنني أود أن أمسك بتلابيبها حتى لا تتركني وقتما تشاء.. أرغب في تقييدها.. في حبسها بين ضلوعي.. أرغب في أن أتشبع بها لحد الاختناق.. أن أصنع منها نسخا صغيرة أوزعها بين جنبات قلبي.. أن أنسخ منها ألف نسخة أوزعها في أنحاء ذاكرتي.. يصيبني الرعب من فقدها.. أخشى يوما أستيقظ فيه دون أن أرى وجهها.. أنظر في مرآتي فلا أراها تبتسم.. أضع معطفي دون أن تلبسه هي لي.. أشرب قهوتي دون أن ألمح عينيها تراقبني.. أكاد أموت فزعا خشية هذا اليوم.. لا لن يأتي هي تحبني أعرف ذلك.. تبتسم لي الآن يبدو أنها توافقني الرأي..

من أجل أن أحتفظ بها فعلت الكثير.. انتقلت إلى منزل جديد أعيش به وحدي.. لم أرتبط أو حتى أفكر في الارتباط.. مجرد الفكرة تصيبني بالقشعريرة.. كيف يحدث هذا وعبقها يملأ حياتي.. أجلس بالساعات أنظر

إليها وهي تبتسم.. لا أشعر بالملل أبدا من مراقبة كل حركاتها.. هي متجددة.. شيقة ومثيرة.

هي كل نساء الأرض.. أحلاهن وأذكاهن وأكثرهن حنانا وأنا مولع بها فماذا أحتاج أكثر! تدعوني متوهما.. خياليا أو حتى مجنونا.. وما أدراك أنت فأنت لا تعرفها.. من بيننا أنت الذي أشعر بالشفقة لأجله فأنت لم تذق حبا كحبنا ولن تعرف أبدا امرأة مثلها!

منمنمات

رجت رأسها.. صفعت نفسها.. أغلقت أهدابها عنوة.. تناومت.. وحين استيقظت كان لا يزال هناك.

لا أحد يناديه باسمه.. حرف واحد يميز بين اسمه وبين اسم العامل القديم لكن لا أحد يهتم بالقدر الكافي.. على أي حال اسمه لا يعني شيئا لا له ولا لهم.. المهم هو أنه سيستمر في خدمتهم.

يركب بجوارها.. يريح يده على المقعد المجاور.. يد مخملية بجانبه.. يفصل بينهما سنتيمترات.. لا يستطيع أن يمد يده ليحتضن يدها.. تبقيها للحظات ثم تسحب يدها بهدوء وتترجل.. يرفع يده التي حظيت بإطلالة على أجمل يد رآها ويضمها لصدره وهو يفكر كم كانت ستتغير وتصبح بلون الذهب.. لو فقط لمسها.

تريح يدها على المقعد.. تضم ساقيها وترفعهما.. تريح رأسها

وتستغرق في أفكارها.. تتزاحم الصور.. ضحكات.. كلمات إعجاب.. كلمات عتاب.. تفلت منها ابتسامة ثم بسمات لا تستطيع إيقافها. يجلس بجوارها.. يحمل شكلها المحبب.. يده تجاور يدها.. اختلست نظرة لها وهي تفكر كم كانت الحياة ستتغير لو امتلكت أصابعها الحق في أن تتشابك مع تلك الأصابع؟

يحاول القفز من فوق السور.. يلقي أولا بكيس طعامه ويرفع جسده كله.. يفقد فردة «الشبشب» في صراعه المحموم الآن لا مفر لا بد أن يدخل.. يستوقفه وجه.. ينظر لعينيها.. من عالم آخر هي بمعطفها الأسود الطويل وملامحها الحلوة.. لا يميز هل تنظر له نظرة إشفاق أم تحذير؟ بأي حال تعود أن يأخذ حذره ممن مثلها. قرر أن يختبئ قليلا حتى تبتعد.. قدمه العارية تؤلمه من حصى الطريق ولكن شيئا تذكره ألمه أكثر.. الكيس ما زال بالداخل!

تومئ.. يومئ.. تبتسم.. يبتسم.. تطرق.. يطرق.. قرر أن يصارحها.. تنفرج شفتاه.. ابتلع ريقه المتحجر. ومسح وجهه المعروق.. استغرق الأمر دقيقة ولكنها.. ابتعدت.

ألملم حقائبي بسرعة.. لا يهم الترتيب.. سأعتني بكل شيء لاحقا أقصد هي ستفعل.. لا أصدق أنني سأعود لها.. هي موطني.

آكل بشراهة.. يبدو البسكويت شهيا وأيضا الكيك يبدو رائعا.. كل شيء يبدو قابلا للأكل في تلك اللحظة. معدتي امتلأت.. أوسع حزامي وأستلقي للحظات.. يصفعني الإحساس بالذنب سأصير كتلة دهنية.. لن يتمكن من حملي.. لن أستطيع الركض أو القفز.. كم أنا قبيحة!

الشيء التالي الذي أذكره هو الحوض الأبيض.. أنا.. إصبعي في فمي.. أفرغ كل ما بأحشائي.. لا ليس مجددا!

أصلي.. لا أعرف ما الفائدة.. حالي هو هو لم يتغير.. صلواتي لا تسمع ولا تصل.. يبدو أنها قد ضلت طريقها مثلي. على أي حال سأكمل الركعات لا أريد أن أقضي ما تبقى من حياتي في الجحيم.. الجحيم الحالي أكثر من كاف!

يجمع بعض العصي.. أوراقا رفيعة ملونة.. خيطا قويا.. يبدأ في صنع طائرته الخاصة.. سيحملها إلى حيث يريد.. صوت قوي فوقه.. ينظر لأعلى.. جسم معدني أبيض يحلق.. ينظر لعصيه وأوراقه.. يركنها جانبا.. سيصنع واحدة مثل تلك وهي التي ستحمله إلى حيث يريد..

شفتي مقشورة.. أنظر لها بغيظ. أحاول أن أبللها بلساني.. حل وقتي ولا يجدي. من أين تأتي تلك القشور البشعة البيضاء! أضع عليها

طبقات من مادة شفافة لقد استنفدت المستحضرات.. لقد عرفت الآن السبب في أنني لا أعجبه!

يخبرني بحسم أنه لا وجود للحب وأنه يسير في حياته طبقا لخطة مدروسة.. قلبه في محلول للحفظ حتى يكمل ما رسمه لمستقبله.. أي ارتباط في ذلك الوقت سيكون بمثابة «هلب» لسفينته وسيثبته في مكانه. أفكر في نظريته المثيرة للاهتمام وأضحك على سذاجتي.. أنا من كانت مستعدة لانتظاره ولو لألف ألف عام.. لماذا يقولون – كاذبين – إن الفتيات جاحدات يهرعن وراء أول طارق للباب! آه لو كنت أمتلك مثله «زرا» يمكنك الضغط عليه فتوقف مشاعرك! خواء كامل.. أسمع صوته كأنه آت من مكان بعيد يخبرني بألا أرفض من يتقدم.. أعده بأن أنفذ نصيحته ولم لا فلقد حولني لتوه لقطعة معدن!

صوت جرسي محبب.. تضع فستانها الأزرق المكشوف.. تتمم على كعبيها.. حاجبيها وأسنانها.. تبدو فائقة الجمال اليوم.. فقدت الكثير من وزنها لتبهره.. غيرت لون شعرها وأطالته.. لم تره منذ شهور.. تشتاق إليه.. تجده بانتظارها.. ترى في عينيه الكلمات المتقافزة.. تتعلق بعينيه ولكنه لا يعلق! لا تعليق واحد! صحيح أنهما لم يتعودا أن يطري على جمالها ولكن الليلة بالذات أرادت منه شيئا مختلفا.. أرجوك قلها.

يضغط على شفتيه ليحبس الكلمات كعادته.. لا يريد أن يبعدها ولا يريد أن يقترب بالقدر الكافي.. تملؤه الرغبة ليس فقط في نطقها ولكن في احتضانها! لا تعرف سبب وضعه يديه في جيبيه فور رؤيتها.. يفعل ذلك كي يكبل يديه لأنه يفقد السيطرة عليهما بجوارها.. لا يريد أن يخسر ما بينهما.

تتعلق بعينيه.. يمنحها نظرته العميقة ولكنه يذكر نفسه بالواقع فيبدأ الثلج بالتراكم في حدقتيه.. تحاول أن تذيب القليل بابتسامتها أو بطريقة تماس شفتيها مع ملعقة الكاكاو يجفل ولا يتكلم.. نظرة مختلفة نفس رد الفعل.. لا فائدة.

ليس هو بمخترق للحدود.. المسافات عنده طويلة جدا وواضحة جدا بين ما يجب ولا يجب عمله.. لا يسكن في المنطقة الرمادية والأمر أنه لا يراها!

تلقي بحذائها بعيدا.. تسحب الشريط الأحمر من على خصرها وتلقيه بجوار فستانها.. لن يتغير.. ترفع شعرها.. تدخل في ملابسها القطنية وتمسح وجهها وتمسح معه كل ما علق بها منه.

طرقات قوية.. دقات أقوى.. أنفاسها تتخافت وتتقطع.. قطرات العرق تعتلي ظهرها.. أطرافها ترتعش.. قلبها تحول لشظايا لم تصب أحدا

سواها.. تسحب ياقته بقوة وتشده إليها: أحبك أيها الغبي.

عيناها الغارقتان فاتهما أن تودعاه.. تركته وحيدا أمام القطار.

صوت أذان.. أصلي.. كم ركعة صليت؟ لا أتذكر.. ركبتاي تؤلمانني.. سأصلي جالسة.. سيغفر لي الله.. بالتأكيد يعلم أنني أحبه ولكني فقط غاضبة.. غاضبة للغاية.

ينظر للكلف المتناثر بكثرة على ظاهر يده وهو يسأل نفسه: لو كان فقط قضى لحظات سعادة تعادل كل بقعة؟

حبست أنفاسها في صدرها ثم أطلقتها دفعة واحدة مع جملة: الموضوع انتهى.. وزع عينيه بين وجهها والحلقة الذهبية التي ترتديها ويده الخالية قبل أن يضحك بشدة.

كل يوم أخصص ساعة لتأمل وجهها.. أستمد منه القوة لمواجهة اليوم وكل يوم.. منها أخزن بين جنباتي ما يلزم لمواجهة حياتي.. بدونها أنا.. غير مسكون.

أرتدي فستاني الضيق.. تتسع عيناه عندما يراني.. يصفني بالجمال أشكره ولكني لا أشعر لا يتوقف قلبي ولا حتى بارتجافة.. يجلسني كي يصورني.. يطري على ثوبي.. الثوب وليس من بداخله! لم أحمر خجلا أمام عينيه المهللتين.. بالتأكيد ليس هو.. ليس الشخص المقصود.

نيل بوليش

تجلس في المقعد الخلفي للتاكسي.. تخرج زجاجة «الأسيتون» وتبدأ في إزالة الطلاء الذي يصبغ أظافرها، لا تجد الوقت الكافي لإزالته في البيت.. معظم وقتها تقضيه في التفكير أو في الانتقال من مكان لمكان.. دائما هي على سفر، سفر مع نفسها وعمن حولها.. بين الحين والآخر تتوقف لبرهة وتسأل هل أنا على صواب أم على خطأ؟ هل الآخرون من معهم الحق أم أنا؟ ملامحها طفولية وروحها ساكنة لا تتفق مع لونه الجريء.. هي روح حرة تستقر في ملامح هادئة.. تركيبتها تلك هي التي تثير الحيرة.. وجه دافئ مريح يحمل روحا متوهجة تكاد تشعل ما حولها، تظن أن والدتها تكره لون أظافرها الأزرق مع أنها لمحت على وجهها ابتسامة عندما وضعته أول مرة يبدو أنه أعجبها وترفض الاعتراف.. أخفت ابتسامتها كما تفعل دائما وأحكمت التكشيرة حول وجهها وهي تقول باقتضاب: هتصلي إزاي؟ تخبرها بأنها توضأت قبل وضعه

وستزيله كل يوم. تومئ برأسها ولا ترد.. تعرف أنها تحبها على الرغم من أظافرها الزرقاء وعلى الرغم من اختلافها المزمن وعلى الرغم من قراراتها التي تراها غريبة.. تخبرها دوما بأنها تود كسر ذلك الرأس لتعيد ترتيبه من جديد، تعرف أنها تود كسره لكي ترتبه على طريقتها؛ طريقة مريحة تجعل منها ابنة مثالية تسمع وتطيع ولا تفكر.. طريقة تجعلها تمسك بمفتاح رأسها وتغلقه ثم تعلقه في رقبتها أو تضعه أسفل وسادتها وتنام.. طريقة تريحها من عبء الجدال والتناظر والإقناع.. تسأل نفسها بعد كل صلاة: لماذا لم تصبح ابنتي كالأخريات؟ لماذا لديها عقل يعمل وروح ترفض السكون؟! نعم تحبها كما هي وبلون أظافرها الأزرق وبعقلها المارق.. هي ابنتها وهذا يكفيها ستظل معها تتحمل نزقها لتكون بداخل إطار حياتها فهي على الرغم من كل شيء لم تخف عنها سرا ولم يسبق أن أبعدت عنها كلمة. ما لا تعرفه أن البنت نفسها ودت لو امتلكت رأسا عاديا وأنها لو خيرت لهشمته بنفسها وارتاحت. ليتها امتلكت «مزيلا» يمسح ما برأسها وتعود بيضاء بغير سوء.. تزيل طلاءها بقوة وهي تتمنى أن تزيل معه أفكارها التي لا تتركها.

ستظل الفتاة تزيل طلاءها الأزرق وهي تشعر بتأنيب الضمير لوضعه – لون لافت لا يناسب ما قيل لها – وستظل والدتها تحكم التكشيرة وتبتسم من الداخل.

وردة في إناء فضي

أراقبها بحنو حتى لا تذبل.. أضعها في إناء فضي لا ليس مخصصا للزهور ولكني أحبه.. يليق بشيء جميل مثلها... تحمل لمسته وبها عطره.. أسقيها وأبتسم لرؤيتها سعيدة مثلي.

قالوا لي إن الماء إذا أضيف له قرصا أسبرين يطيلان عمرها.. لا تحتاج لشيء صناعي فهي مثلنا.. كاملة كما هي.

عندما تقرر السكون لن أتركها اشتريت حافظة وردية خصيصا لأضع أوراقها بها. سيأتيني بغيرها وغيرها أعرف ذلك.. ستضم حافظتي المئات من الأوراق المجففة كذكرياتنا محفوظة.

الآن دوري أن أجعلها تبتسم لأطول وقت ممكن.. يوم اثنان أسبوع أسبوعان لا تتغير. أيكون السبب رعايتي لها! أتكون وردة خالدة كحبنا.. لا تأفل كوجهه في مقلتي؟!

أسقيها وأمي تراقبني لا أعرف لماذا ألمح تلك النظرة غير المفهومة على وجهها أعرف أنها تغار منه وربما لا تحبه لا يهم، المهم أنني أفعل. سأخرج الآن سأفتقدك.

تقترب من الإناء الفضي وترمق الوردة في تأفف: إيه البنت المجنونة دي.. كل يوم بتسقي وردة بلاستيك! ألقت عليها نظرة ضيق وهي تنتزعها من مكانها وتطوح بها في القمامة.

بانتومايم

نشأ في أسرة تُقدس التقاليد. يرون أن العادات كالنقود؛ تُورّث. تربّى على الأخلاق؛ فكبر طفلا مهذبا. ولأنه كان في مدينة ليست مزدحمة.. فما أن أتمّ عامه الخامس حتى هبط ليحتل مكانه في الشارع.

كان الشارع هو المقر الرسمي لوجوده. صباحا يلعب مع الأصدقاء ويعود عصرا للمنزل لتناول الطعام وللتحقيق المنزلي. يطلق على والدته حضرة الضابط؛ بأسئلتها التقليدية: هل سببت أحدا؟ هل استهزأت برجل كبير.. إياك ومعاكسة الفتيات.. حاشاك أن تتحدث معهن بطريقة غير لائقة. كانت أسئلة والدته كالقيد يُحيط معصم أفكاره. فنشأ نافرا من الفتيات.. لم يلعب مع فتاة في طفولته، سواء بشارعه أو حتى من أقاربه، لم يخاطب إحداهن في مراحله الدراسية المتعاقبة. عندما تحدّث مع واحدة عابرا أذاقته والدته ويلات العذاب. لم يمارس أي مراهقة طفولية.. حتى وصل لمرحلته

الجامعية.. ورآها.

نشأت هي في أسرة متوسطة تتبع من العادات والتقاليد ما يناسبها. لم يقيدها والدها من قبل في أمر. ترك لخيالها العنان. شجعها على ممارسة هواياتها.. الاختلاط بالناس. تربّت مُحاطة بالفتيان من مختلف الأعمار. لم ترهم مختلفين عنها، كل منهما يحمل عقلا وروحا. لم تحطها والدتها بحبال الصمت والخجل؛ شجعتها على التكلم معهم.. لم تحاسبها على كل خطأ يبدر منها؛ فالمهم ليس ارتكاب الخطأ ولكن التعلّم منه. دربتها على امتلاك شخصية قوية تتعامل بها مع الجميع، وجعلتها ترسم حدودًا خفية لا يشعر بها الفتى لكنه لا يستطيع تجاوزها. لم تلتفت إلى أحدهم من قبل.. لم يخفق قلبها حتى وصلت إلى المرحلة الجامعية.. ورأته.

لماذا يتأملني هكذا؟ ما كل هذا الشغف الذي تحمله عيناه! عيناه تلمعان كلما رآني وتتسع ابتسامته. كل هذا دون أن ينطق بكلمة. أعرف نوعه جيدا يظن نفسه أنه يملك من الوسامة ما سيجعلني ألتفت لنظراته. يحسب أن بأفعاله تلك سيجذب انتباهي. يحلم هو؛ سأستمر في تجاهله.

أسرتني منذ البداية. لم أستطع أن أحيد ببصري عنها. ملامح وجهها الطفولية. بشرتها البضة التي سيطر البياض عليها، وعيناها اللتان حملتا لون السماء. شعرها الذهبي الذي ترسله خلفها وتبدو كأنها لا تعبأ به، فيخرج

هائجا كموج البحر. كل هذا جعلني أتابعها دون أن أنبس.

ما زال ذلك الفتى تلاحقني عيناه أينما ذهبت. عضلات وجهه توشك أن تتمزق من فرط الابتسام. ما زال صامتا! إن كان معجبا بي فلماذا لا يتكلم؟ لقد أتيحت له أكثر من مناسبة، كلما لاحت فرصة ألحظ احمرار وجهه ويُشيح بعينيه بعيدا. يلتزم الصمت. لا أفهمه!.. لا أستطيع فك طلاسمه.

بالتأكيد لاحظتْ اهتمامي بها. كل أصدقائي لاحظوا ذلك. كلهم شجعوني أن أذهب إليها وأتجرأ. هل أفعل ذلك؟ ليست لدي الجرأة الكافية. الخجل يعتريني كلما تجسدت أمامي. لو تحدثت معها سأقول لها كلمة واحدة: أحبك. لكن أمي قالت إن من يقول هذه الكلمة لفتاة سترحل عنه من دون رجعة.

اليوم تقدم مني ونطق بكلمتين: صباح الخير.. جلس بجواري وظل يرمقني بنفس النظرات المتلصصة. لماذا لا يتكلم؟ كنت أرمقه بنظرة متسائلة بين الحين والآخر، ولكنه ظل يجيبني بابتسامته غير المفهومة. ليس هذا كافيا.. ليس بالنسبة لي على الأقل.

لم أقو سوى على صباح الخير متلعثما. حاولت أن أفتح مجرى للحديث لكن الكلام احتبس في حلقي فاكتفيت بلغة العيون. بدت كأنها تريد المزيد. ولكن لساني ارتدى ثوب العجز فلم يتحرّك. أخشى أن تكون قد كونت

عني صورة سيئة. أنا لست من هؤلاء الذين يضيعون وقتهم باللعب بالفتيات.

إذا كانت نيته أن يحتل جزءا من تفكيري بأفعاله تلك فهو واهم. لماذا لا يتكلم؟ ليس خجولا؛ أراقبه يتكلم مع الجميع لكن دون أن أسمع صوته. أراقب شفتيه تتحركان لكن دون صوت. دائما بيننا مسافة. أثمة شيء أفعله يمتص جرأته؟! أعرف أن شخصيتي القوية وقناعي الصلب يخيف الكثيرين ولكنني دائما ما أيقنت أن هذا القناع سيذوب مع من أحب. سيختفي مع الرجل الذي أختاره ويختارني. آخر ما أريده في حياتي رجل يخشاني.

رأيتها اليوم تدخل للمكتبة فدلفت خلفها فورا. لعلّ رائحة الكتب التي تزكم الأنوف تشجع الفم على التخاطب. سحبت كتابا لم أعرف عنوانه حتى. كانت المرة الأولى التي أعامل بها الكتاب دون اهتمام.

جلس يراقبني في المكتبة لنحو ساعة ونصف لم يقلب الصفحة التي أمامه. لا أظن أن في عالمنا هذا رجلا يمتلك كل هذا القدر من التردد والخجل. ألمح الكلمات تُوشك أن تقفز من على شفتيه ولكن دون فائدة يبتلعها. أزفر عدة مرات متظاهرة بالضيق ولكن بداخلي أشعر بالإطراء لدى معجب سري.

لو كانت تشك أنني مُعجب بها الآن صارت متيقنة من ذلك. صرت ألاحقها أينما حلّت. فقط أملّي بصري منها. أحُبّها في صمت. حب دون كلام. قال لي أحدهم إن المرأة لا تحب الرجل الصامت. تُحبّه فائض المشاعر مُصرّحا

بها.

لقد أصبح الأمر سخيفا فعلا تتسلقني نظراته كل لحظة دون أي فعل. أشعر بها داخل أحشائي لكن ما الفائدة؟! لا أجيد فن البانتومايم!

سأقول لها اليوم كل ما يجيش به قلبي. كفاني صمتا. أغلال والدتي لا بد أن أفك قيدها. سأخرج من الشرنقة التي وضعتني بداخلها. سأذهب وأقول لها أحبك. لا يهم ترحل أو تبقى.. المهم أن أكسر الحاجز الذي لا أستطيع عبوره. لكن ما حدث أصابني بإحباط منعني من مواصلة ما خططت له.

تعمدت اليوم المزاح مع شخص آخر أمامه لأرى رد فعله. كنت أريده أن يرمقني بنفس النظرات ولكنه لم يفعل. نظراته الخجلى كساها الانكسار. بدا حزينا جدا. نكّس عينيه للمرة الأولى، ولاحظت غليان عروقه. يا له من أحمق. يبدو أنه فعلا يحمل لي بعض المشاعر.. يبدو أنه.. أنه.. يحبني!

لماذا غضبْتُ لرؤيتها مع آخر. هل هذا حقي؟ هل ما أصابني هو غيرة العاشق. لا أدري ماهية المشاعر التي تختلجني. للمرة الأولى أُطيل الليل مُسهدا أفكر بها. ماذا سأفعل غدا معها؟ صمت. صمت. صمت.

فقط أرغب في صفعه! أريده أن يتوقف. ليعلن عن مشاعره أو ليختفي

من حياتي. كلما رأيت وجهه أقاوم رغبة ملحة في صفعه عدة مرات.. أريد أن أصيح به: أيها الغبي ماذا تريد؟

هل ما زالت تجهل لغة العيون. مرت أيام وشهور وما زالت لا تترجم نظراتي. أريد أن يصدر منها قول صريح يُشجعني على التحدث. أعلم أن الطبيعي أن أكون أنا صاحب الفعل وتكون مهمتها رد الفعل. لكن سلاسل في لساني.. خجل يكويني.. ورعب الفراق يعتريني.

نظراته متكلمة ولكن ماذا بعد؟! الكل يعرف أن الفتى إذا أحب تكلّم ومن لا يتكلم لا يحب. من عشق صرّح. لا بد أنني أتوهم إعجابه. لأقتلعه من ذاكرتي.. سأطرد وجهه من نفسي وعالمي. لو كان يحبني لاقترب، لحاول، لاقتحم. هو يقف على حدود الشاطئ وأنا لا أتقن السباحة.

سفينة التعذيب التي تربيت على سطحها، وكان قبطانها الوحيد والدتي؛ حرمتني من الإبحار في علم الكلام مع الجنس الآخر. أنا كالمدفع الرشاش في الحديث مع رفاقي من الذكور. دائم المزاح والضحك معهم. لكن معها انعقد الكلام ولم أعرف ماذا أصنع. كيف سأفك وثاقه. ما زال صراخ أمي في المهد يصدح بأذنيّ، وحروق يدي ومذاق الشطة على لساني يردعني كلما هممت بمواجهتها.

فكرت أن أصارحه أنا.. أن أواجهه. هذا حقي بعد كل هذه المطاردة.

ما أسوأ شيء يمكن أن يحدث؟ سأسأله ماذا تريد؟ ما دوري في حياتك؟ لتدخل وجداني فعليا أو لتغادره نهائيا. النصف حالة التي نعيشها تؤرقني. لماذا لا تنطق؟! لو نطقت لوفرت علي كل هذا الألم!

هل تنفر مني بسبب سلوكي؟ لو فعلت فهذا حقها. وأنا معذور.. لا لست معذورا.. أنا مريض.. مريض ليس له علاج.. شفائي أن أظل وحيدا.. أنا أعيش غريبا. أملي الوحيد أن تشعر بمشكلتي فترسم لي الحل لأسير على هداه. لكن يبدو أن لديها من الآباء من يمنعها.

أستمر في تجاهلك وتستمر في مناوراتك البصرية. أتجاهلك أكثر فتتابعني أكثر أتظن أنها لعبة ما؟ أنت لا تصلح لي يا من لا اسم لك ولا بريق ولا حضور. انطفأ اهتمامي بك. أصبحت ظلا آخر على حائط حياتي. ظلا كئيبا، ثوبا قديما مهترئا في خزانة ملابسي. أتركك هناك معلقا بجوار من سبقوك، بجانب الجبناء أمثالك.

لا أراك أصبحت شفافا.. لم تعد تمثل شيئا.. تلاشيت.. تحللت.. صرت سرابا.

هبة بسيوني – حازم دياب

فكرونة

تمشي قليلا.. تقف.. تخرج رأسها.. لا يوجد ما يستحق المشاهدة.. تدخل رأسها.

لا أتألم

نعم ما سمعته صحيح. أنا أعاني مرضا نادرا يجعلني لا أشعر بالألم. حاول صفعي؛ لن أذرف دمعة واحدة، ولن أحس بشيء. كانت تسليتي في الطفولة أن أجعل أصدقائي يوجهون لي اللكمات دون أن أرمش. توقفت عندما أُصبت بنزيف داخلي، وعنفتني أمي باكية وهي ترجوني ألا أقدم على ذلك الفعل ثانية. حينئذٍ فهمت أنني أتعرّض للأذى كالبشر العاديين.. لكنني أفتقد للشعور بالألم. قضيت حياتي أحافظ على نفسي لأجل أمي، لكي أجنبها ذلك الشعور الذي لا أعرفه.. كنت لا ألعب بجموح كبقية الأطفال، أمي أخبرتني أنهم قساة، سينظرون لي كغريبة. يكفي أنا وهي نعرف؛ لنحافظ على سرنا الخاص كما تحب وصفه.

كبرت.. تناسيت حالتي، وأصبحت أتصرّف بتلقائية. التف الكل من حولي فجمعت الكثير من الأصدقاء. ذات يوم تأوه أحدهم عند ارتطامه بجسم

ثقيل. حسدته؛ ترى بماذا يشعر الآن؟! ما الذي يجعله يصرخ؟ قسمات وجهه تُوحي أنه غير سعيد. هذا بالتأكيد شيء لا يستحق أن أحسده عليه. أنا مُباركة فلماذا أشعر بالغرابة؟!

لأقترب أكثر من هذا الشيء السحري الغامض؛ التحقت بكلية الطب. ثمة ألوان متباينة من الشخوص لكن شاهدتهم مجتمعين على شيء واحد، شيء قاسٍ أسود ندمت على رغبتي يوما في التعرف به. إنه يفتك بالبشر. ينسلهم من ذاتهم. يحوّلهم لآخرين. لا هم لهم سوى كيفية الخلاص منه. أحمد الله أنه جنبني لقاءه فهو يمتص الأرواح.. لا أريد أن أعرفه.. لا أريد.

الكل أخبرني بأنني طبيبة بارعة. تخرجت.. وعملت على محاربته. كنت أسعد عندما أهزمه، وأشعر بالعجز عندما ينتصر لكنني لن أمنحه تلك الأفضلية. سأظل أواجهه.

في معركتي معه فاتتني أشياء مهمة منها أن «هشام» زميلي يحاول لفت انتباهي.. كنت أشحذ كل حواسي لأجل دراستي؛ لكنني بعد فترة لم أمانع خِطبته لي. مكثنا مرتبطين لفترة، كان هو يحلم فيها بيوم الزفاف. يحلم وحده؛ لم يكن الوقت ضمن خياراتي؛ لانهماكي الشديد الذي أُدرك أنه يُقدّره. أَحبْ تفوقي ونبوغي. يعمل بالطب مثلي؛ لذا سيتفهم كل شيء. لم أشغل بالي بإخباره عن سبب اهتمامي الشديد. إنه سرنا الخاص أنا وأمي. ما

زالت تنصحني بالكف عن هوسي والنظر لمن يحبني قليلا.. ومن قال إنني لا أهتم به! أنا أبادله شعوره، أحبه.. ربما لم ألفظها؛ لكنه بالتأكيد يعرف ما بداخلي.. ثم لماذا وافقت على الزواج به إن كنت لا أشعر ناحيته بعاطفة ما. هو مثالي، تحسدني عليه الفتيات.. به كل شيء أردته وأكثر.. كم تمنيّت قضاء الوقت معه في سعادة كأي عاشقين، لكن مرضاي من يرعهم؟ أأتركهم له ينهش عظامهم وينفرد بهم؟!

طورت دراساتي وتطوّرت معها مشاعري نحو هشام.. ذلك الكائن الرقيق الذي سكنت إليه روحي.. أذوب هياما في شخصيته كلها؛ لكنني لا أملك الوقت لترجمة تلك المشاعر لكلمات وأفعال. كيف يجد هو الوقت الكافي ليتذكر عيد ميلادي وتاريخ أول لقاء جمعنا معا؟ يغضب عندما أؤجل زفافنا. وماذا عساني أفعل؟ لو كان الأمر بيدي لتزوجتك البارحة.. لألقيت بنفسي بين ذراعيك عندما ألقاك؛ لاختفيت داخلك. لكنها لعنتي.. معركتي التي لا بد أن أظفر بها بالانتصار. كل ما أطلبه منك هو أن تظل كما أنت. انتظرني قليلا.. فقط قليلا.

اليوم يوم تكريمي. كل الثمار التي سعيت لها سأحصدها أخيرا.. سأسافر لأتقلّد وسام التفوّق من واحدة من أعرق الجامعات الأمريكية. أبحاثي عن الألم ومقاومته تُدرّس الآن في الجامعات الأوروبية والأمريكية والمصرية.

أخيرا هزمته وحققت مبتغاي. الجميع الآن يمكنه العيش مثلي..

أستطيع الآن أن أتزوّج وأحظى بحياتي الخاصة. أجهز حقيبتي وألقي نظرة بالمرآة. ألمح بعض الخطوط التي علت وجهي الذي لم أدقق النظر به منذ أمد بعيد. هذه هي التجاعيد التي لطالما سمعت عنها. لكم يجري الوقت!

أهاتف محمد لأتعجله. سيوصلني بسيارته إلى المطار كعادته. سأفاتحه اليوم في موضوع زواجنا. حان الوقت. أسمع صوت سيارته تحط في مكانها المعتاد. أنزل مهرولة وقلبي يدق في سرعة. أتخيل بسعادته وتوقه لرؤيتي. أتلهف للنظر لوجهه لكني انقبضت فور رؤيته.. كان مُنكس الرأس.. وملامحه منكمشة.. خلع دبلتي في هدوء وهو يقول: «آسف يا هند أظن أنني عبرت بكِ لطريق النهاية.. ووقفت بجانبك ولكنني تعبت.. فاق الأمر قدرتي على الاحتمال.. لم أعد أريد الاستمرار. حظا سعيدا».

وضع الدبلة في يدي.. ومضى دون حتى أن يلتفت لوجهي المذهول.. لم يسمع ما لديّ. كنت أمتلك الكثير لأقوله. أُصبت بالخرس. لم أناده.. أو أركض خلفه؛ تسرّب إلي الشعور بالهزيمة.. انكسرت.. شيء بداخلي احترق.. خلايا جسدي تيبست.. رغبة عارمة في الصراخ لكن يبدو أن أحبالي الصوتية أصابها تلف.. الدموع تتسلل من عين ظننتها جامدة. قلبي يعتصره شعور لا أدري ماهيته.. هل يكون الألم؟!

غمازتان

البنت ذات الغمازتين صدقت كل من نعتها بالجميلة حتى الولد صاحب النمش وجارها العجوز وخالتها التي تطري على كل شيء.

الخالة كانت تطري عليها لأنها تراها «عروسا» مناسبة لابنها الذي لم يتم العاشرة بعد.

الجار العجوز يظن أنها تشبه زوجته التي أحبها وتركته دون وداع.

الولد كان يحمل لها وردة كل يوم ولكنها تمر مسرعة ولا تنظر له أبدا.

البنت لا ترفع عينيها من على الأرض لأنها خجلى ولأنها تنتظر اللحظة التي تقابل فيها من يجبرها على رفع عينيها.

البنت لا تفهم لماذا يعلق الجميع على غمازتيها مع أنها ولدت بهما ولم تفهم أبدا مزية أن تمتلك شيئا أشبه بالثقبين في وجنتيها! مرة أمسكت

بمنشفتها وحاولت إزالتهما ولكنها لم تفلح فقد ظلتا هناك!

الخالة تنظر لها وتتمني.

الولد ما زال ينتظر.

العجوز يربت على يدها.

البنت ما زالت لا ترفع عينيها.

للتواصل مع الكاتبة:

Facebook: Heba Basiony «هيباتيا»

E.Mail:

tourguide_heba@yahoo.com

thewriterheba@hotmail.com

عن الكاتبة:

هبة بسيوني.. مرشدة سياحية وكاتبة ومصورة فوتوغرافية من مواليد محافظة الإسكندرية. حازت جائزة أفضل مقال نقدي باللغة الإنجليزية في مهرجان «القراءة الكبرى» تعاون مشترك بين الولايات المتحدة ومكتبة الإسكندرية. حازت الجائزتين الأولى والثانية في برنامج «عصير الكتب» لأفضل مقال نقدي، نالت عدة جوائز لأفضل مقال وأفضل قصة قصيرة في مهرجان «القراءة للجميع» لديها مقالات وصور منشورة في جريدتي المصري اليوم والوفد.

نشرت في موقع «لي- لك» تعاون مشترك بين وزارة الخارجية الألمانية ومصر.

الفهرس

1- الإهداء

2- كراميل بالشيكولاتة وكرسي هزاز

3- قيد

4- ثلاثية الوجع

5- داخل جدراني الأربعة محمية

6- «بيانولا»

7- آثام

8- اختبار

9- أسمال

10- ألف صوت يهمس

11- أهازيج

12- توحد

13- جوع

14- حساب

15- رحال

16- سادية

17- سخط

18- سَركي

19- صديقة

20- صفقة

21- قميص

22- عبور

23- غلق أعين

24- قفزة

25- قميص نوم أرجواني

26- لو تريد الاحتفاظ بأسنانك

27- ليس بيدي

28- معكِ

29- منمنمات

30- نيل بوليش

31- وردة في إناء فضي

32- بانتومايم

33- فكرونة

34- لا أتألم

35- غمازتان

36- للتواصل مع الكاتبة

37- عن الكاتبة